أدباء التنوير والتيارات الإسلامية



دكتور محمد الجوادى

دار الشروق

أدباء التنوير
والتاريخ الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس ٨٦٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE

دكتور محمد الجوادى



دار الشروق

الغلاف : الفنان محمد حجى
الخطوط : محمود إبراهيم

إهداء

إلى روح الصديق الكبير

المهندس حافظ أحمد أمين

□□ قدمت بعض مادة هذا الكتاب ونوقشت فى مؤتمر « تاريخ الأمة الإسلامية بين الالتزام والموضوعية » أكتوبر ١٩٨٩ تحت عنوان «منهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية » .

□□ الطبعة الأولى ، اتحاد الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠

مقدّمة الطبعة الثانية

حين شرعت فى التفكير فى صياغة فكرتى فى هذا البحث على هذا النحو كنت آمل أن أجد الطريق الى تصويـر ذلك الموقف الذى استطاعته نخبة من مفكـرينا رفيعـة الثقافة وجـدوا العالم (يـومها) يتغير مـن حولهم ليبحث فى تراثه وأصوله عن العوامل المتينة التى يستطيع أن يستند إليها وهـو يبنى صيـاغته الجديـدة لأنظمـة الحكم بعـد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وهى يومها فى أذهان البشر ليست إلا ذلك الشىء الـرهيب الذى اسمــه الحرب الكبرى ،فإذا الخريطة العـالمية تـرسم من جديـد، تذوب كيانـات لتنشأ كيانـات أضعف، ولكن لابد من نشأتها.. وتذوب كيـانات أخـرى من أجل كيانـات أقوى، ولابد مـن ذلك أيضـا.. وتذوب كيـانات ثالثـة لتخرج من جديـد قريبـة من الكيانات الســابقة ولكنها تحمل مسميات جديدة ! على هذا الحال وجد المثقفون المصريون أنفسـهم فى عـالم جديد فإذا هـم يفكرون بطرق شتى فى مكـان وطنهم

ومكـانة بـلادهم من هذا العـالم الجديـد ، وإذا أهل المبادرة من رجـال السيـاسة يسعـون إلى المنـدوب السامـى يستحثون وفـاء بـريطانيـا بتعهـداتها لمصر... ويكون هـذا السعى بدايـة لما أصبح بعد ذلك ثـورة ١٩١٩بكل وقودهـا ونتاجها... يسعـى أهل الفكر فى خطوات متـلاحقة (حتى وان لم يظهر للرائى من قـريب أنها مترتبة على بعضـها) إلى إثبات الهوية الـوطنية بكل السبل والوسـائل.. وتجد مع هـؤلاء بعضا من أهل السياســة المتنورين وما أكثـرهم يومها يشـاركون خطوات عمـلاقة فى مجالات الآداب والفنـون والعلـوم جميعا، فـإذا الجامعة الأهليـة تثمـر جامعة رسميـة وإذا جمعيات الفنون والآداب تأخذ مكـانها كمؤسسات ناشئـة، وإذا حركـة التأليف والترجمة والنشر تبلغ منعطفات هـامة فى آفاقها ونشـاطها.

وعلى الصعيـد الثالث .. الصعيـد الأعمق والأكثر أنـاة كانت طبيعـة الهوية التاريخية لهذا الشعب تلح بشدة على عقول مفكريه وكتابه وهم يحاولون أن يقرأوا التاريخ الوطنى ليستلهموا حوادثه وأحداثه وليجدوا فى مطالعتـه مايعينهم على تصـور المستقبل بل والحاضر كذلك . كـانت حركة المجتمع الدولى من حول مصر تستحث هؤلاء على الخروج بالرأى الواضح الـذى يستطيعون أن يعبروا من خـلاله أو بعد استلهـامه عن موقفهم من قضيـة كقضية الخلافة الاسلامية التى استحـالت للأسف إلى واجهة أصبحت مرتبطة بكثير من التداعيات والتراكمات التى لايسـهل

الدفـاع عنها أمام ضجيج الطبول الهاتفـة لسياسة كسياســة التحديث (أوالتغريب) التى تبناهــا واحد من أمثال أتاتورك حتى ولـو كانت هذه السياسة جوفاء ! و على هذا النحو كانت الدواعى لاعادة بلورة الرأى فى مجرى التاريخ الإسلامــى كله قوية الى الحد الذى دفعت عـالما كالشيخ على عبد الرازق إلى أن يتصـدى مبكرا برأى مهما يكن صوابـه فإنه قد لقىَّ من القبول والاستنكار على حد سواء ماينبىء عن أن البيئة الفكرية كانت يـومها مهتمة أشـد الاهتمام بالموضوع الـذى يتناوله هـذا الرأى مهما يكن على أن المسألة لم تكن مجرد أزمـة يستوعبها حـوار حول رأى.. وإنما كانت بمثابة الشغل الشاغل الـذى لابد وأن يجد ـ ولو بعد حين ـــ من يتفـرغ لـه مستعينـا بـأدوات البحث الجديـدة التى تهيأت للتاريخ والبحث العلمى بعـد إتاحة نتـاج المطبعة بكل مافى هـذا النتاج، وإتـاحة كثير من المخطـوطات ، وتـوفر كثير من الـدراسات على مـدى القرون الطويلة، و ربما كانت المؤلفـات التى تناولتها فى هذا البحث هى الحصيلـة الأولى لتفـاعل الجيل الـرائد من أدباء التنـويـر مع التـاريخ الاسلامى دراسة وكتابة .

وقـد أسعـدنى الحظ أن اتقـدم بنواة هـذا الكتـاب كبحث فى نـدوة «تاريخ الأمة الإسلامية بين الموضوعيـة والتحيز» التى عقدت بالتعاون بين رابطـة الجماعـات الإســلاميـة وكلية آداب الـزقـازيق فى أكتـوبـر ١٩٨٩ ،وحظى هـذا البحث بمنـاقشـات مستفيضة فى قـاعـة النـدوة

وخـارجها ممـا دفعنى الى الاهتمام بنشر هـذا الكتاب على نطـاق كفيل بتوفيره لأصحاب الرأى. ولا أنكر أننى كنت ولا زلت مقدرا أشد التقدير هذا الجهد الذى قام به (الأدباء) فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية. ولازلت اعتقد أنـه إذا جاز أن يكون هنـاك أكثر من مستـوى لكتابة تـاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسلامية) فلابد أن تتميز كتابات تاريخية بالقدرة على أن تكون مقـروءة على أوسع نطاق . ولابد لمثل هذه الكتـابات من أن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك التى يتناولها هذا البحث. وإنى لأذكر فى هـذا المجال رأيـاً ضمنته دراسـة لى عن «التعليم والثقـافة فى الـوطن العربى» خلاصته أن تكون مثل هذه الكتب على رأس المقررات الإضـافية الكفيلة بتنميه الثقافة العامة بين طلبة التعليم العالى.. وأذكر هنا أن هذا الرأى كان على رأس الآراء التى لقيت القبول إن لم يكن الاعجاب ، بحيث إن الذين نـاقشوا فكـرة المقال من أساتـذتى الذين اطلعـوا على أصولها كانوا يلخصـون الموقف كله بأن يقولوا إنه لابد من تقرير مثل هذه الكتب الجميلة الوافية «فجر الاسلام ، وضـحى الإسلام .. وعلى هـامش السيرة، والفتنة الكبرى» حتى يخرج طـلاب المجتمع الإسلامى بفكرة تـاريخية علميـة منطبعـة فى أذهانهم لا بمجـرد معلـومـات محشوة لا يـربطهـا رابط،وإنى لأذكر كـذلك أنى أشرت بهذه الكتب ضمن مجموعـة أخرى مما قد يسمى بكتب الثقـافة العامة على عدد من الأسـاتذة الأجلاء ذوى المكانة الرفيعة فى تخصصات العلوم الطبية والطبيعية أرادوا رأيى ـ قبل

حوالى٥ سنوات ـــ فى مجموعة من الكتب تجعلهم على إلمامة واسعة وعميقة بعناصر الثقافة التى حصلوها من قبل على مدى قراءاتهم التى امتدت طيلة عمرهم الثقافى، وأن هؤلاء جميعا وبلا استثناء كانوا أسعد مايكونون بهذه المؤلفات بعد أن طالعوها أو طالعوا بعضها.

ربما كان كل هذا الحديث ضروريا للتدليل على مدى تقبلى لهذا المنهج الذى كتبت عنه ، وربما يفسر هذا بعض ذلك التعليق الذى ساقه الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس وآخرون من المعقبين علىّ فى الندوة حين تساءل الدكتور عويس بعد تقريظ طويل لبحثى ، هل كل ماكتبوا جدير بالتقدير والاحترام، ألم تجد مطاعن فيما كتبوا؟ ألم تلحظ أنهم لم يلتزموا بالمنهج الاسلامى بقدر ما ألتزموا بالتغييرات المادية.. ألخ) والحق أنى أجد من واجبى تجاه القارىء أن ألخص له ردودى على مثل هذه التحفظات كما جاءت على لسانى فى الندوة حيث قلت إن هناك فارقا كبيرا بين مجموعتين من الصفات .. مجموعة الصفات التى وصفت بأنها إنجازات (وهى التى تناولتها فى الفصل الثانى ومجموعة الصفات الأخرى التى وصفتها بأنها سمات (وهى التى تناولتها فى الفصل الثالث). ولخصت الموقف كله فى سرعة (شأن المتحدثين فى الندوات) بقولى إن الانجازات هى تلك الصفات التى تميز جهداً على جهد أما السمات فهى تلك الصفات التى تميز جهدا من جهد .. ولهذا فإنه يمكن للدكتور عبد الحليم عويس وأنصاره بل ولأنصار مذاهب أخرى أن

يأخـذوا بعض السمات التى عددتها فى الفصل الثـالث على أنها مآخـذ ، حتى وإن أخـذوا البعض الأخر على أنــه مما لا جـدال فى عبقريتـه!! أما الانجازات فإنها لاتحتمل هذا التأويل . وهذا هو ماكان فى ذهنى حقيقة حين عمدت الى مثل هذا التقسيم (وإن لم أسطره يـومها).. خذ مثلاً تلك الصفة التى جعلتهـا أولى الانجازات وهى تأكيـد الصفة الإلهيـة للبعثة المحمديـة وأن الاسلام ديـن من عند اللـه... بعبارة أخـرى ان الإسـلام رسالة وبعثـة وليس مجرد دعوة إصلاحية فهذا فكـر هام بلا شك كما يتضح لنـا جميعا من قـراءة النصـوص المقـابلة فى أى كتــاب من كتب المؤرخين الغربيين.

على اليد الأخـرى فإن ماسميته بـالسمات ولنأخذ مثـلا «الانتصار للعقل» يمكن النظر اليـه على أنه من المميزات كما يمكن لأنصــار مذهب آخر أن ينتقدوه ويخرجوه من دائرة المميزات تماماً .. وفى هذا المجال فإن سمة كـالسمة الأولى فى هذا الفصل وهى «النظر الى التـاريخ الاسلامى كجزء من الدراسات الاسلامية» لايمكن النظر اليها بسـهولة على أنها من إنجازات كتابـة أدباء التنوير ذلك أنــه يصعب على غير المقتنعين بأهمية الـدراسات الإســلامية فى كتــابة التــاريخ الإسـلامى أن يـوافقوننـا على ضرورة تسلح كتاب هــذا التاريخ بكل تلك العلـوم والمعلومات والثقـافة الإسلامية .. أو أن يكـون هذا من المقومات الأسـاسية فى كتــابة مثل هذا التاريخ.

أحب أن أذكر أن كثيرا مـن المعقبين سـألونى عن عـدم تناول البحث للكتب التى تتناول الشخصيات مما ألف طه حسين وأحمد أمين وهيكل والعقاد .. الشيخان، وزعماء الإصلاح، وحياة محمد، والعبقريات. إلخ، وهى النقطة التى ربما لم يمكنهم الوقت من الاطلاع عليها فى البحث حين ذكرت فى المقـدمة (ص١٩ من هذا الكتـاب) أنه لن يكـون من شأن هذه الورقة أن تتعرض لهذه الكتابات لإنها تدخل فى باب التراجم على حين أن البحث مقصور كما ينبىء عنـوانه على الـدور الذى قامـوا به فى كتـابة التاريخ.. ومع هذا يبقى منهج أدباء التنـوير فى كتابة التراجم من الأمور التى تستحق الـدراسة والتأمل ، وبالطبع فـإننى أول الموافقين على أنه من التعسف الواضح أن نعتبر أن التراجم ممـا يخرج عن نطاق التاريخ ولكن كنت ملتزماً حدودى .

ومن الطريف أن أذكر للقارىء كـذلك قصة التعليقات المتكررة التى تفضل بها كثيرون على عبـارتى التى قلـت فيهـا إن من مميـزات هـذه الكتابات التى قـام بها أدباء التنوير أنها أتاحت تاريخ الاسـلام مكتوبا بلغـة الإسلام. حيث عقبت بقـولى «وقد يبـدو ذكـرنا لمثل هـذا الفضل غريبـا على الأذهان.. ولكن الذى لاشـك فيه هو أن هـذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء المنُـورين بالعربية.. لو تذكـرنا أن لطه حسـين نفسه كتابا عن الأندلس بـالفرنسية ترجمه الأستاذ محمد عبـد الله عنان بعد فترة من كتـابته ، وأن رسالـة الدكتـور محمد حسن هيكل وكـانت عن

«دين مصر العام» كتبت بالفرنسة، وأن رسالة د. عبد القادر القط كانت بالانجليزية ولم تترجم الى العربيـة إلا مؤخرا. وأن تاريخ التراث العربى لفـؤاد سزكين بقى مـدة طويلـة حتى تـرجم، وأن تاريخ بـروكلمان لم يترجم هو الآخـر إلا بعد فترة.. وأن وصف مصر لم تتم ترجمتـه بأكمله حتى الآن، فما إن لخصت هذه العبارة إلا وتسارعت الأقلام إلى تسجيلها للتعقيب بها علىّ فلما علق بها ثـلاثة يـؤكـدون لى أن زهير الشايب قـد ترجم وصف مصر وكذلك د. أيمن فؤاد وجد كثيرون غيرهـم أنفسهم وقد فاتهم قصب سبق مزعوم .. وأذكر أنى عقبت عليهم جميعا بقولى إن ما أقصـــده من هـذا المعنـى لم يكن أن وصف مصر لم يترجم فأنـــا أعلم ماتـرجم منه ومـالم يترجم وأن المسألة فى منتهـى البساطة أنـه لم تتم ترجمته حتى اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٨٩ رغم مرور أكثر من قرنين على تأليفه.. هذا هو المعنى الـذى أردت التدليل عليه بأكثر من مثـال.. وحتى لو تفضل أحـد الاســاتذة المعقبين بـالانتهاء من تـرجمة وصف مصر فى تلك الليلة فإن المعنى الذى أردت التنبيـه إليه يبقى قائما فى وضـوح .

أحب بعد هـذا أن أنبه إلى أنى لا اتبنى منهج أدبـاء التنويـر فالمنهج نفسـه أكبر من أن يتبناه مثلى، وقد وُجـد المنهج من خلال النتاج الفكرى الذى مثلته الكتابات الصـادرة عنه، ولكنى مع هذا أعيد تكرار التعبير عن إعجابى بهذا المنهج وسعــادتى به وبتحليله، وأحب أن أذكـر كذلك أننى

لاافـرض هذا المنهج على المؤرخين ولا أعتقـد لهم أنه هـو المنهج الأمثل ، ولكنى حَفىٌّ بتحليل مقومات النجاح والتميز فى هذا المنهج حتى وإن لم يوافقنى بعض أساتذة من المؤرخين على أنه منهج من الأساس

هذه أعمال تمت ولاقت رواجاً واستحسانـا وقبولاً وخلوداً أو بعض ذلك كلـه، وأنا اليـوم حريص على أن اتأمل مـا فيها من جمال أو دقـة أورقـة أو تكـامل أو تميـز أو تفـرد.. وحين أحـاول هــذا التأمل فإنى لاأفـرض على هـذا الأعمال منهجا فى نقـدهـا ، وانما انتظـر من الأعمال نفسها أن تضـىء نفسها بنفسها.. وعلى هـذا فان من حـق القارىء أن أدله على الطريقة التى اتبعتها فى كتابة هذا البحث حين أعدت قراءة هذه الكتب وسجلت على هوامشها (أو فى ورق بيدى) ما نبهتنى إليه القراءة، ثم أخذت هذه الملحوظات والانطباعات جميعا فاعدت قراءتها، وتنقيتها ، واخترت أقـربها إلى الاندمـاج تحت عنـوان البحث، ثم رتبتهـامرة بعـد أخرى ثم كتبت ماكتب ، وأعدت تبويبه أكثر من مرات أربع، ثم دفعت به إلى المطبعة ، وتناولته بالتعديل فى البروفات مرة بعد أخرى.. ثم قدمته إلى النـدوة... وبعد ذلك عقبت عليـه تعقيبات كثيرة، واستبـدلت بكثير من العبـارات عبـارات أخـرى، وأضفـت كثيرا من الفقـرات، وتحرزت من التعميم فى كثير من المواضـع، ودفعت به بعد ذلك إلى ثلاثة من الأصدقاء الأعزاء أبـدوا رأيهم فى كثير من النقاط والتعبيرات، وأعـدت طباعتـه من جديد ، وبالطبع فقد أعدت النظـر فى كل صفـحة فى أثناء قراءة البروفات

الجديدة. ومع هذا كله أظل معتقداً أنى فى حاجة ماسة الى عطف القراء الأعزاء علىّ بمناقشتى فيما يرون مناقشته، وفى تصحيح مايرون تصحيحه.

بقى أن أذكر قصة ذلك التعليق السريع الذى أبداه أحد أساتذة التاريخ الكرام حين استنكر علىّ أن أضم جهود طه حسين وأحمد أمين إلى التاريخ، واستند فى استنكاره الشديد إلى أن طه حسين لم ينل الدكتوراه فى التاريخ وإنما فى الأدب وأن أحمد أمين لم تكن له علاقة ألبتة بأقسام التاريخ فى الجامعة.. ولحسن حظى أنى عقبت على هذا الاستطراد بما كنت أعرف من أن طه حسين نال الدكتوراه بعد امتحانه فى الأدب العربى والجغرافيا والتاريخ «وإذن فليس حظه من دكتوراه الأدب بأكثر من حظه من دكتوراه التاريخ» هكذا كان نص عبارتى .. بل إن طه حسين فى أول عهده بالجامعة عمل كمدرس للتاريخ القديم قبل أن يتفرغ للأدب العربى!! لم يكن هذا الرد هو الرد المباشر بالطبع وإنما جاء بعد الإشارة السريعة الى أن كتابة التاريخ لم تكن أبدا فى أى مكان أو زمان حكرا على حملة الدكتوراه فى التاريخ.. وحتى إن كانت فليس من شأن هذه الندوة أن تقصر هذا الكتابات على هؤلاء فليس فى وسعها أن تفعل ذلك لأنها تتناول الكتابات التاريخية، حتى من قبل منح درجات الدكتوراه. وفى النهاية أبديت أسفى وعجبى من أن المعلومات التى ذكرتها عن طه حسين وعن درجة الدكتوراة التى مُنحها مسجلة أيضاً

بالتفصيل فى كتـاب تذكـارى عن الجامعة المصريـة يحمل اسم الاستاذ الدكتور المعقب نفسه ! !

لا أحب أن أبدو وكأنى خارج لتوى من دائرة الانبهار بجهد هؤلاء أو مصمم على البقـاء فى تلك الـدائرة، ولكنى أحب أن أعلن سعـادتى بهذا الاكتشاف الذى سبقنى إليه القراء فى العالم كله على مدى السنوات التى مضت منـذ رأت هـذه الأعمال النـور، فـإذا كـانت دراستى لهذا المنهج تخرج عن مناهج المؤرخين فى نقد مناهج التاريخ وتقترب كما تردد ذلك الصوت الجميل فى القـاعة من أن تكون منهجـا تشريحيا طبياً لـدراسة التـاريخ فليس بوسعى إلا أن أذكـر ذلك فى منتهى السعادة وأن أشكـر مثل هذا التقـدير الكريم، وأن أشكـر أيضا الأستاذ الـدكتور مصطفى النجار رئيس اتحاد المؤرخين الذى كـرر التعبير باسمه واسم الاتحاد عن إعجابه بطريقة تنـاولى للموضوع على مسمع من أصحاب المناهج التى ربما أكون قد ابتعدت عنها تماما.

بقى أن اعترف فى نهاية هذه المقدمة للقارىء الكريم بأنى قد أجريت كثيراً من التعديلات على متن هذه الدراسة بحيث أصبحت مختلفة كثيراً عن صـورتها التى خـرجت بها فى طبعتهـا الأولى ، وفى الحقيقـة فإننى دفعت بهذا النص إلى المطبعة بعد سبع تجارب مطبعية أعدت الصياغة فى كل مـرة منها فى كثير من المواضـع، وكلما دفعنى الـزمن إلى التباعـد عن

البروفــات كنت أحس دوماً أنى مقصر فى أن أتــرك هذا العمل المتــواضـع حبيس الأدراج خاصة بعد ما نفدت جميع نسخ الطبعة الأولى .

هــذا الكتــاب إذن ليس انعكاســاً لمزاجى وفكــرى فى ١٩٨٩ فحسب ولكنه متأثر تماماً بظروفى النفسيــة والفكرية فى المرات السبع التى أعيد فيها جمعــه فى ١٩٨٩ نفسـها وفى مطلع ١٩٩٠ وفى أخـريات ١٩٩١ وفى مطلع ١٩٩٢ ونهايتها وفى نهاية ١٩٩٣ ثم فى هذه المرة الأخيرة فى ربيع ١٩٩٤.

١٥مارس ١٩٩٤

محمد الجوادى

مقدّمة الطبعَة الأولى

ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أبديت بأقلام أصحابها حين أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه فى تاريخ الأمة الإسلامية.. بل لعل هـذه الورقة لن تبتعـد عن شىء بقدر مـا سوف تبتعـد (أو ما سوف تحاول أن تبتعد) عن هذا التسجيل. وليس من هدف هذه الدراسة أن تعلى من قدر كتـابة تاريخية على مـاسواها من كتـابات، إذ ليس من هدف هـذه الندوة على مـا أظن أن تمنح التقديـر لما كتب من قبل ، حتى وإن امتحنت هذا الذى كتب منهجياً وموضوعية وأصالة وصدقاً بكل ما يـدور فيها و حـولها من نقاش و تعليقـات و ليس من هـدف هـذه الدراسة بعد ذلك أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الآمة الإسـلامية وإن كـانت بالضرورة سـوف تلقى ببعض الضوء على بعض معـالم فى بعض الطرق الكفيلـة بالوصـول إلى بعض ما نبتغيه لتـاريخ أمتنا حين يكتب.

إنما تحاول هذه الدراسة أن تتأمل مع المنتديين هذا الجهد الذى شهده الربع الثانى من القرن العشرين فى مصر حين تصدت مجموعة من ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية الأولى لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية .

تحاول هذه الدراسة أن تستعرض هذه التجربة الرائدة التى أثمرت جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ ولأهل تاريخ الأدب العربى، و كثير من الدراسات الإنسانية فى الحضارة العربية .. وهو بعد ذلك ، و قبله المرجع العلمى الممتع ... و العمل الأدبى الممتاز

سوف تتناول هذه الدراسة فى الأساس أعمال أحمد أمين

- فجر الإسلام : جزء واحد
- ضحى الإسلام · ثلاثة أجزاء
- ظهر الإسلام . أربعة أجزاء
- يوم الإسلام : جزء واحد

و هى الحصيلة التى جاءت نتيجة اتفاق طه حسين وأحمد أمين وعبد الحميد العبادى على الاشتراك فى عمل كبير لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية على أن يتولى الأستاذ العبادى كتابة الحياة السياسية ، وأن يتولى الأستاذ أحمد أمين الحياة العقلية . و أن يتولى طه حسين الحياة الأدبية

بيد أنه كما سنرى بالتفصيل كان الأستاذ أحمد أمين وحده هو الذى استطاع أن يقوم بدوره فى هـذا المجال ، ومع هذا فلن يسعنا إلا أن نضم إلى جهـد أحمد أمين فى هـذا المجـال مـا كتبـه طـه حسين فيما سمى بالإسلاميات:

- مرآة الإسلام
- على هامش السيرة . ٣ أجزاء
- الوعد الحق
- الفتنة الكبرى :
  ١ـ عثمان
  ٢ـ على وبنوه

ومع أن أعمال طه حسين هذه لا تتكـامل مع بعضها كأعمال أحمد أمين إلا أنها تمثل حديثاً عن مناطق تاريخية هامة تكتنف ما يسميه أهل التاريخ بالحدث الكبير الذى تتيح دراسته وتحليله ودراسة ما قبله وما بعده من أحداث .. و هذا هو عين ما فعل طه حسين مثلاً فى كتابة الفتنة الكبرى بجزئيه .

بقى أن أوضح أيضاً أنه لن يكون من شأن هذه الدراسة أن تتناول دور أدباء التنوير فى كتابة التراجم الإسلامية سواء دور الدكتور هيكل فى حياة محمد .. أو العقاد فى العبقريات و فاطمة الزهراء . أو طه حسين

نفسـه فى « الشيخان» .. أو أحمد أمين نفسـه فى زعماء الإصلاح . فهـذا موضوع بحث آخر و سوف يكـون من شأن هـذه الدراسـة أن تقوم بتلخيص المقومـات التى ربما ساعـدت من قريب أو من بعيـد على دفع أدباء التنوير إلى النجاح فى ارتياد هذه المنطقة ، وأن تروى قبل ذلك قصة جهـدهـم فى هـذا المجـال .. ثـم تبحث فى المزايـا التى أتيحت للتـاريخ الإسلامـى عندما كُتـب بأقلام هـؤلاء الأدباء و فى الآثـار الأخرى لهذه التجربة . ثم تستعرض قيمة الـدور الذى أتمه هؤلاء فى ضوء المصاعب التى اعترضـتهم و الجهود التى تلتهم ..

١٤أكتوبر١٩٨٩

محمد الجوادى

الفصل الأول

قصّة المشروع

يتحدث أحمد أمين عن قصة الاتفاق على كتابة التاريخ الإسلامى فى صفحة ٢٢٤ من حياتى (الطبعة السادسة) فيقول · « كان ذلك تمهيداً لمشروع واسع فى البحث وضعناه نحن الثلاثة الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادى و أنا خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث فى العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام ، فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية ، و الأستاذ العبادى بالحياة التاريخية ، وأختص أنا بالحياة العقلية ، فأخذت أحضر الجزء الأول الذى سمى فيما بعد (فجر الإسلام) و صرفت فيه ما يقرب من سنتين..» ويمضى أحمد أمين إلى أن يقول فى صفحة ٢٢٥ « و قد تم هذا الجزء الأول من فجر الإسلام فى أخر سنة ١٩٢٨ ، و لقد لقيت من حسن استقبال الناس لهذا الجزء و تقديرهم له و اهتمامهم به نقداً

وتقريظاً ما شجعنى على المضى فى هذه السلسلة و قد عاقت زميلىّ عوائق عن إخراج نصيبهما فاستمررت أنا فى إخراج ضحى الإسلام فى ثلاثة أجزاء »

هذا هو ما كتبه أحمد أمين بعد أن قطع شوطاً كبيراً فى عمله ، أما طه حسين فقد كان طموحاً إلى أن يقوم بجهده فى هذا المجال إلى حد أنه يتصور نفسه و قد أتم العمل فعلاً و ها هو يكتب فى نهاية تقديمه لفجر الإسلام (الذى صدر ١٩٢٨) فيقول : « وثلاثتنا متضامنون فى الكتاب على اختلاف أقسامه ، فقد استقل أحمد أمين بدرس الحياة العقلية ولكنه قرأه معنا و أقررناه كما أقره ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ، واستقل عبد الحميد العبادى بدرس الحياة السياسية و لكنه قرأه علينا وأقررناه كما أقره ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ، و استقللت بدرس الحياة الأدبية و لكننا قرأناه جميعاً و أقررناه ، فنحن جميعاً شركاء فيه على هذا النحو، و كل ما نتمناه أن نوفق إلى أن ندرس ضحى الإسلام بعد أن درسنا فجر الإسلام » .

و فيما يبدو فإن حكماً على هذه العبارات المؤكدة و نحن نقرؤها اليوم لا يخرج عن تقديرنا لها من أنها كانت شبيهة بالأمانى حتى و إن كانت تتحدث كما ترى بضمير الانجاز .

بل إننا نجد الدكتور طه حسين حين يكتب مقدمة فجر الإسلام (١٩٢٨) يتحدث عن جهود أحمد أمين فى فجر الإسلام بضمير الجماعة

منذ بداية المقدمـة حتى يأتى فى صفحة (ط) إلى قوله « و إنما أردنا أن نرضى ضمائرنا أولاً فأخذنا أنفسنا أو بعبارة أصح أخذ زميلنا الأستاذ أحمد أمين نفسه بأن يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلاً ليس أقل دقة و استقصاء من تحليل صاحب الكيمياء فى معمله . » و هذه العبارة التى لم ترد إلا فى صفحة (ط) هـى أولى إشارات طه حسين إلى نهوض أحمد أمين وحده بـالعمل بعد حـديث طه حسين الطويـل عن العمل كله بضمير الجماعة ..

ثم يستطرد طـه حسين قائلا إن الحيـاة السياسيـة (هى التى كان مقرراً أن يدرسها الأستاذ عبـد الحميد العبادى) ليست أقل تعقيداً من الحيـاة العقليـة « التى درسهـا أحمد أمين » ويـوضح طـه حسين سر تعقدهـا .. ثم يعقب بقولـه: «و يرى الذين يقـرأون كتاب الأستـاذ عبد الحميد العبـادى أن بلاءه فى هـذا البحث خليق بما لبلاء صـاحبه أحمد أمين من حمد وثناء.. ويتطرق طه حسين بعد ذلك إلى الحياة الأدبية التى كان من المقرر أن يتـولاها هو بالدرس ثم يقـول « و أنا أرجو أن أنهض بعبء هذا البحث كما نهض صاحباى بعبء البحثين اللذين عالجاهما ».

الفصل الثانى

الإنجازات التى تحققت من خلال كتابة أدباء التنوير للتاريخ الإسلامى

(١) تأكيد الصفة الإلهية للبعثة المحمدية ، و أن الإسلام دين من عند الله : غالباً ما تطالعنا فى معظم كتابات المستشرقين و مَنْ نهج على منوالهم رغبة ملحة فى البحث عن عوامل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية وراء دعوة النبى محمد عليه السلام إلى الإسلام ، وابتعاداً تامًا عن اثبات معنى بعثة النبى من عند الله .. ولا شك أن المؤرخ المتوسط (ولا نقول المتميز) يستطيع أن يأخذ بعض الأحداث والظواهر فيما قبل بعثة النبى ليجعل منها دليلا واضحاً أو إرهاصاً قوياً على بدء الدعوة المحمدية كمجرد « دعوة » حتى وإن بالغ بعد ذلك فى تقديره لقيمة وعظمة هذه الدعوة .. وهذا هو المفهوم الذى عايشته بنفسى مثلاً

فى فكر أعظم الشباب الأوروبى ثقافة (كزملائى من الأطباء الأجانب) كنتيجة حتمية لثقافتهم المستقاة من المصادر المتاحة أمامهم ولو أننا فى غيبة جهد هؤلاء الرواد كنا استسهلنا أن ندرس التاريخ الإسلامى من أعظم كتب الجامعات العالمية كأن نقرر نفس كتاب تاريخ العصور الإسلامية المحبذ أو المقرر فى هارفارد أو كمبردج ونترجمه على نحو ما حدث ويحدث (ويظن بعضنا أنه النموذج لما ينبغى أن يحدث) فى كثير من الأحوال فى تدريسنا للعلوم الإنسانية والطبيعية فى المرحلة الجامعية، لو كنا فعلنا هذا لوقعنا فى المحظور الذى أنقذنا منه بلا شك انتباه بعضنا للقيام بما يمكن أن نصفه بأنه جهد من ذلك النوع الذى يطلق عليه فى الفقه الإسلامى مسمى «فرض الكفاية» ، على أن الأعظم من هذا أن هؤلاء قاموا بهذا الجهد منذ مرحلة مبكرة من تاريخ الجامعة الوطنية المبكرة فى بلد مسلم

وسأضرب مثلاً على المعنى الذى أريد التعبير عنه بهذه العبارة التى تبدو وكأنها ممتازة والتى يجدها القارىء فى مطلع كتاب المؤرخ الهندى اللامع خودا بختش عن الحضارة الإسلامية حيث يقول : « إن محمداً أخذ الشعلة من أيدى معاصريه ، إذ لم يكن هناك غير محمد الذى كانت تحيط به العناية الالهية ، ويشعر بالغيرة الدينية ، مَنْ غيره يستطيع أن يؤدى الرسالة ويقوم بالواجبات ويقدم من أجلها تضحيات شخصية عاجلة ، كانت روحه العالية لا تقبل تعدد الآلهة فى بلاد العرب ،

وانصراف العرب إلى حياة الترف والشهوات وأصبح يفكر دائماً فى تحطيم هذا النظام القائم .. كانت مسألة حياة أو موت .. ولكن محمداً ألقى بنفسه فى المعمعة بكل قوة لديه . ليخلق مجتمعاً نقياً عظيماً ، قوياً سليماً » .كلام جميل كما نرى ولكنه يخالف تماماً جوهراً من الجواهر الأولى فى إسلامنا وإيماننا وفى تاريخنا الإسلامى الحقيقى .

(٢) وضع الظواهر التاريخية الدالة على التعطش إلى دين فيما قبل الإسلام فى وضعها الصحيح : تأسيساً على الفكرة السابقة ، ومن ناحية أخرى فإن قراء التاريخ الإسلامى الذى كتبه المستشرقون كثيرا ما يجدون تعسفاً واضحاً فى كثير من « التكوينات التاريخية » التى تفسر ظهور الإسلام ، على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الوقت بالذات وفى هذا المكان بالذات .. مع ما لا يغيب عن أذهاننا ووجداننا ومعتقداتنا من أن الإرادة الإلهية هى صاحبة هذا الاختيار .. وهكذا نجد كثيراً من المؤرخين يفضلون التفسيرات الأكثر جاذبية لبعض حوادث أو روايات متناثرة .. وعلى سبيل المثال ما نجده من كثرة النقل والتأويل لما أوردته سيرة ابن هشام (الجزء الأول ص ٣٧) من قصة اجتماع أربعة من مثقفى العرب (أو مفكريهم بلغة هذه الأيام) ، وهم ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو وقد تعاهدوا على أن يصون بعضهم سر بعض ، وأن يلتمسوا لقومهم ديناً .. فإنكم والله ما أنتم على شىء !! ثم ذهبوا يسيحون فى

أرض الجزيـرة يبحثـــون عن مثل هــذا الـــدين . وأخشى أن تتمادى المؤلفات فى المستقبل فى مثل هذه الرواية فتصور الأمر على أنه لم يكن إلا على نحـو مـــا يفعل رواد تسجيل الفنـون الشعبيـــة أو رواد تسجيل الآثار!!

(٣) إيضاح تـاريخ الديانــات السماوية عنـد العرب فيما قبل الإسلام : لا يـزال قراء التـاريخ الإسلامى إلى اليـوم يجدون كثيراً من الكتابات التاريخية وهى تتناول علاقـة العرب بالديانات السماوية من منطق ســاذج أو بمنطق التسطيح (وعلى سبيل المثـال فيما يفسر عـدم انتشــار الديـانتين السماويتين اليهوديـة والمسيحيـة فى شبه الجزيـرة العربية) مـن دون أن تنتبه مثل هذه الكتابات إلى حقــائق واضحة كتلك التى تتعلق بـرغبة اليهـود فى الاستئثار بـدينهم . أو انشغال الجماعـة المسيحيـة ببلاد الامبراطـوريات والحضــارات عن الانتشار إلى مـواقع متفـرقة غير مأهـولة بــالسكان مثل بـلاد العرب .. ومع هــذا فقد كــان للديـانتين وجود واضح فى مـواضع معينة من جـزيرة العـرب لأسباب معينة كما فصل الأستــاذ أحمد أمين فى فصول كتــابه فجـر الإسلام .. قارن هذا الذى يستطيع الناس قراءته لأحمد أمين منذ نصف قرن برأى كرأى أستاذ للتاريخ الإسلامى فى جامعـة عربية كبيرة يرى (فى كتابه المقرر) فى سرعة وفى بسـاطـة أن المسيحية لم تنتشر لأن عقيدتها صعبة

على العرب !!! وأن اليهودية لم تنتشر هى الأخرى لأن القانون التلمودى معقد عجز العرب عن فهمه !! .. وهكذا حل هذا الاستاذ الجليل المشكلتين بزعم واحد قد لا يكون له أدنى مقوم من الحقيقة ! .

(٤) دراسة أثر الإسلام فى أدب الأمة الإسلامية : ربما كانت هذه العلاقة من العلاقات التى تقلل من شأنها كتابات المستشرقين عن الأدب العربى (بالتناسى أو التجاهل) وكأن الأدب العربى فى كل ماحلق إليه من آفاق المعانى والتجديد بعد الإسلام قد استمد نجاحه من الجاهلية !! حين لم يكن فى وسع أعظم الشعراء فى هذه الجاهلية أن يشبه الجواد الماهر إلا بالصخر أسقطه السيل.. وربما كان هناك أو لا يزال هناك من يرى أن الدين أرفع من أن يؤثر فى الأعمال الأدبية .. أو هكذا يجب أن تكون نظرتنا إليه ... ولكن هذا لا يمنع على الإطلاق من أن يقر كل من تأهله نفسه للحقيقة من دارسى الأدب العربى أن الأدب العربى قد استحال شيئا آخر بعد الإسلام .

وسنستعير للقارىء عبارات طه حسين فى تقديم الطبعة الأولى من فجر الإسلام حين يعدد مزايا عمل أحمد أمين فيقول إنه « وصل بين الثقافة الدينية والفسفية وصلاً متيناً لن يتعرض منذ الآن لضعف أو وهن فقد كان الناس يعلمون أن للدين والفلسفة أثراً فى الشعر ولكنهم لم يكونوا يزيدون على هذه القضية العامة ، أما الآن فقد استطاع أحمد

أمين أن يضع أيدينا على هذه الآثار القوية الخالدة التى يتركها الدين والفلسفة والأدب ، وأصبح كتابه وسيلة قيمة إلى أن تتصل الحياة الدينية الإسلامية فى وضوح وجلاء إلى نفوس الشبان الذين يدرسون الأدب العربى فى الجامعة أو غيرها » ونحن نرى كثيراً من تطبيق أحمد أمين لهذا الفهم فى كتاباته فى كل فكرة تقريباً وانظر مثلاً ص ٢٧٥ من فجر الإسلام حين يتحدث حديثاً طويلاً عن أثر الاضطهادات فى الشيعة إلى أن يصل إلى قوله · « وهذه السرية استلزمت الخداع والالتجاء إلى الرموز والتأويل ونحو ذلك وكان من أثر هذا الاضطهاد أيضا اصطباغ أدبهم بالحزن والنواح والبكاء وذكرى المصائب والالام » .

(٥) الوعى بوجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية : كان طه حسين على عكس ما قد يتصور الناس أو ما قد يصور لهم اليوم منتبها تمام الانتباه إلى وجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية ، وتميزها ، وهاهو فى مقدمة ضحى الإسلام يقول فى منتهى الوضوح إن هناك .« ما محا الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم وصهرها فى مرجل واحد هو الدولة الإسلامية فكوّن منها شخصية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة هى شخصية الأمة الإسلامية » تأمل هذا الذى خرج به طه حسين من قراءة كتاب أحمد أمين وسجله فى تقديمه للكتاب ، وقارن بينه وبين بعض أفراد الجيل الثالث من تلاميذه الذين يريدون اليوم ــ دون درس ــ أن يقولوا بانتفاء وجود ما يسمى بالشخصيةالإسلامية !!

(٦) إتاحة تاريخ الإسلام مكتوباً بلغة الإسلام : وقد يبدو ذكرنا لمثل هذا على أنه فضل غريباً على الأذهان .. ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء الأدباء المنورين بالعربية .. ولنتذكر أن لطه حسين نفسه كتاباً عن الاندلس بالفرنساوية ترجمه الأستاذ محمد عبد الله عنان بعد فترة من كتابته . وأن رسالة الدكتور محمد حسين هيكل للدكتوراه وكانت عن دين مصر العام كتبت بالفرنسية ، وأن رسالة د عبد القادر القط للدكتوراه كانت بالانجليزية ولم تترجم إلى العربية إلا مؤخراً وأن تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين بقى مدة طويلة حتى ترجم ، وأن تاريخ بروكلمان لم يترجم هو الآخر إلا بعد فترة .. وأن وصف مصر لم تتم ترجمته بأكمله حتى الآن !!

(٧) الدين فوق الدولة وفوق الحضارة وفوق القومية : وهذا معنى واضح كل الوضوح منذ مطالعتك كتب أحمد أمين فهو لا يقول فجر الدولة الإسلامية ولا ظهر الدولة الإسلامية وإنما هو ينسب كل هذا إلى الإسلام مباشرة . و أحمد أمين لا يتعسف فى تفسير (أو تحديد) العلاقة بين الإسلام والعربية مثلا وإنما يضع هذه العلاقة وضعها الصحيح، ولا يفرضها على الحوادث التاريخية ، وأحمد أمين فى كل هذا يصدر عن الفهم العميق للتاريخ ، ولا يريد أن يفرض فهما وقتيا عليه وعلى حوادثه، ولهذا تبقى لهذه الكتابات التنويرية قيمتها حتى بعد انتهاء عصور التنوير التى كتبت فيها .

(٨) النجاة من التعصب لـلاسلوب الاستشراقى : نجا الأستاذ أحمد أمين من تعصب المستشرقين فى زمـن الانبهـار بهم لأنــه كــان صاحب منهج أصيل ناقد يستطيع أن يعرض عليه ويستعرض فى هديه كل ما من شأنــه أن تكون له عـلاقة بـالدين الحق أو بالـزعم الباطل .. وهكذا جـاءت كتابــة أحمد أمين خالية من كـل ما يثير المسلم الحق من الفهم غير الحق للـدين الحنيف . وأحب أن أعبر للقارىء عن هــذا المعنى بعبارات جميلــة للأستاذ عبد الحليم النجـار كتبها وهو يقدم تـرجمته لكتاب جـولد زيهر فيقـول فى وصفها · « ويشتمل الكتـاب على قليل من النـزعات الـدينيـة ، وهى نزعـات لا يكـاد يخلـو منها كتـاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يمليها عليهم ألف لازم أو هوى متبع أو قصد جائر » .

(٩) النجــاة مـن التعصب الخفىّ للمتمـــذهبين والقـــوميين والشعوبيين .. إلخ : فأحمد أمين (وكذلك طه حسين) لا ينتصر للسنة على الشيعـة ، ولا للشيعة على السنــة (حتى وإن جاهـر السفير حسين أمين فيما بعد باعتقاده فى أن والده ظلم الشيعة) ولا لأهل قطر عن قطر ، ولا لحضــارة سابقــة على الإسلام على حضــارة أخرى فى تأثيرهــا على الإسلام ولا يلقى بـلائمة حرب أو نزاع على جماعــة دون جماعة ونحن نفهم أن المؤرخ لا ينبغى أن يكون إلا هكـذا.. ولكننا لا نستطيع أن نجد هذا المؤرخ فى كل ما هــو متاح أمامنا من كتب التــاريخ . و سـاضـع أمام

حضرتكم فقرة تمثل البديل الآخر الذى لا يحظى أبداً بميزة كتابات أحمد أمين وهى أولى فقرات كتاب تاريخى ضخم هو « العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجرى » وقد نشرته دار اليقظة العربية بسوريا سنة ١٩٥٩ للأستاذ محمد عزة دروزة . يقول المؤلف ·

« أدى انهيار الدولة الأموية الشامية فى أول الثلث الأول من القرن الهجرى التالى نتيجة لتحالف الهاشميين ضدها مع الفرس إلى انتقال عاصمة الدولة العربية الإسلامية التى حل العباسيون فيها محل الأمويين من دمشق إلى الهاشمية فبغداد فى العراق الذى كان أقرب إلى البيئة الفرسية من الشام ، وانفسح بهذا أو ذاك المجال لرجال الفرس فأخذوا يتغلغلون فى بنيان الدولة العباسية ويدمرون العرب شيئا فشيئا. وأخذت تبدو منهم مطامع متنوعة تهدد كيان الدولة والعروبة تهديداً قوياً .. » .فهذا كما نرى نموذج للتاريخ الذى يمكن أن يقدم للشباب وللطالب المسلم وللمثقف المسلم فى مجلدات كبار تدرس فى الجامعات الكبرى أو تتاح حتى فى المكتبات الصغرى .

وأحب أن أوضح للقارىء أنى لا أقصد بالتعصب ذاك الذى قد نجده مدسوسا كالسم فى العسل فحسب .. ولكننى أقصد كافة أنواع التعصب حتى ذلك التعصب للعقل فى فهم العبارات العامة أو الغامضة أو غير المحددة وما ينشأ عنه من تعسف فى فهمها وفهم أركانها وشروطها ، أوحتى التعصب للجنس البشرى فى فهم الكون وما قد ينشأ عن ذلك من

تفسير شبه مادى للتاريخ ، أو التعصب للحاضر فى فهم الماضى وما ينشأ عن ذلك من نظرة جوفاء متعالية إلى جهود جبارة قد نعجز عنها اليوم وهكذا .. كأنى أريد أن أقول إن الأدباء قرأوا التاريخ على نحو ما أضاء التاريخ نفسه من داخله .

(١٠) دراسة صلة الثقافة الاسلامية بالثقافات الشرقية : يمكننا القول باطمئنان أن أحمد أمين كان أول وأبرز من وضع أيدينا على مدى تأثر الثقافة العربية الإسلامية بالثقافات الشرقية .. ولولا جهود أحمد أمين لظللنا ننقل عن كثير من السابقين على أحمد أمين واللاحقين له اهتمامهم بعصر الترجمة الذهبى فى عهد الخليفة المأمون (فقط) حيث نقلنا عن اللاتينية وكأننا كأمة إسلامية فى تفاعلنا الحى مع الحضارات لم تتفاعل إلا مع اللاتين .. ولا نزال إلى اليوم نرى معتقدات وثقافة كثيريين منا وكأن النموذج الأمثل (وأحيانا الوحيد) للتأثير بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى قد أخذ على أنه علاقة العرب بالثقافة اللاتينية بدءاً من عصر المأمون ثم البعثات والحملة الفرنسية وحتى معهد العالم العربى فى باريس .. أما الدراسات التى تستقصى علاقة الحضارة بين العربية والفارسية فإنها لا تبرز إلا قليلا ، وبخاصة عند الحديث عما قد يسمى بالتأثيرات المعادية أو التأثيرات السلبية كالشعوبية . على أن الأهم من هذا أن أحمد أمين كان أكثر المؤرخين توفيقا فى دراسة وتحقيق الصلة بين العرب والهند ، وتكاد هذه العلاقات

لا تحظى بأى اهتمام حتى الآن وخلاصة القول إن أدباء التنوير قد انتبهوا تماماً إلى علاقة الشرق بالشرق كما انتبهوا إلى علاقة الشرق بالغرب .

(١١) الموازنة بين منهجي التاريخ : دراسة تعاقب الأحداث ودراسة الحدث : على الرغم مما قد نجد من اختلاف الباحثين فى فلسفة كتابة التاريخ فى تقديرهم وتحبيذهم لمنهجين من مناهج كتابة التاريخ ، الأول يعنى بتوالى الأحداث وتعاقبها على نحو ما نرى فى كتابة الحوليات والأسرات والمماليك والعصور . الخ والثانى يُعنى بتعميق دراسة حدث واحد يمثل ذروة الصراع التاريخى فيما قبله وبعده ، مع هذا فإننا نجد المؤرخين يعودون فى النهاية ليقرروا (صراحة أو ضمنيا) أن التاريخ الحق لا يمكن أن يكتب بأحد الأسلوبين دون الآخر ، وأنه لابد من امتزاج الأسلوبين للخروج فى النهاية بشىء ذى قيمة ، وهذا هو عينه الأسلوب الذى اتبعه أحمد أمين فى كتابة سلسلته الرائعة حين مزج باقتدار بين المنهجين . بل إن هذا المنهج هو الذى سيطر على طه حسين فى كتابه الفتنة الكبرى بجزئيه عثمان وعلى وبنوه . على الرغم مما قد يبدو للوهلة الأولى من أنه انتصر لمنهج الحدث التاريخى .. أو مما قد يبدو حين ينتهى القارىءفى سرعة بالغة يدفعه التشويق إليها من قراءة الكتاب فيظن أنه قرأ قصة الأحداث متعاقبة .

لا شك أن الأديبين الكبيرين قـد نجحـا تمامـا فى هـذه الموازنـة بين منهجى كتابة التاريخ إلى أبعد الحدود فقد جمع أحمد أمين الموقفين كما جمعهما طه حسين .

(١٢) تقديـر حقيقة وطبيعـة الدور البـارز لأعلام المسلمين فى مجرى التاريخ الإسلامى :ـ ربما يمكن القول بـأن تميز أحمد أمين ككاتب تـراجم كان وراء هذه القدرة ، ولكن مـا يعنينا هنا أن نشير على سبيل المثل إلى لمحـات أحمد أمين الذكيـة فيما يتعلق بعلمين من أعـلام الإسلام :

١ـ **رابعة العدوية** : كـان أحمد أمين يرى فى رابعـة العدويـة آراء تخالف آراء كل السابقين سواء فى مجمل رأيه فيها أو فى تفاصيل حياتها ، فهو يقول مثلا :« وقد روى أنها قابلت الحسن البصرى وسمعت منه ، والذى يقارن بينهما يرى أن الحسن كان مغمورا بنزعـة الخوف ، وأما هى فكانت مغمورة بنـزعة الحب ، ولا شك أن نزعة الحب أرقى بكثير من نزعة الخوف » و يقول أحمد أمين فى مـوضـع تال :« قـديجوز أن يكـون من أتى بعـدها قـد تأثـر بمعـانى الحب التى قيلت فى الثقافـات المختلفة أمـا هى فما نظن أنها تأثرت بذلك ، وإنما هو موجدة وجدتها فى نفسها تغنت لها الغناء بهيجاً كالموجدة التى كانت عند الخنساء فغنت لها طويلا غناء حزينا » .

٢ـ الغزالى : يقدر أحمد أمين الإمـام الغزالى بصفة خـاصة إلى الحد الذى يجعله يقـول فى شأنه : « وكان لكتبه وتعـاليمه أثر كبير فى حياة المسلمين بدليل تاريـخ المسلمين قبله وبعده » ويعدد أحمد أمين فى ذكاء شديد مجموعـة من الظواهر التى يدلل بها على هذا الرأى فيذكر :

(أ) أن الفقهـاء كانـوا يعتمدون على ظـواهـر الشعائر من وضـوء وصلاة وعـدد ركعات فجاء هـو فبث فيها الـروح وجعلها كما كانت فى الحال الأول فى صدر الإسلام أهـم أركانها ، فالصلاة ليست مجرد حركات إنما هى ذلك مع خشوع القلب.

(ب) كان المتصـوفة قـد ارتكنوا إلى الحب الالهى فسكنـوا واطمأنوا ولم يلتزم بعضهـم بالواجـبات الـدينية التـزاما دقيقـاً ، فجاء الغـزالى وأعاد إلى النفـوس الخوف من الله على طريقة الحسن البصرى .

(حـ) حبب التصوف إلى الناس وأقر الاعتقاد بالمكاشفة وأنها تصل بالمعرفة إلى ما لم يصل إليه العقل .

(جـ) وافق الصوفية على القول بكرامة الأولياء .

(د) فلسف الدين فـإذا قرأت أى باب من الأبـواب رأيته يعـرضها عرضا غير عرضهم فعرضهم جاف كالقوانين ، وعرضه لطيف كالقطعة الأدبية .. إلخ .

ويعـود أحمد أمين فى ص ١٦٩ فيكرر ذات المعنــى بعبارة أخـرى إذ يقـول «وعلى الجملة فيظهـر لى أن الإســلام فى العصور المتأخـرة عن الغزالى كان متأثراً بتعاليم الغزالى وكتبه »

هـذان كما تـرى نمـوذجـان لقـدرة أحمد أمين على إضفـاء الفضل الحقيقى لأصحابه من أعلام الإسلام . أما طه حسـين فـلا شك أنه كان هو الآخـر يعيد رسم الشخصيـة من شـخصيات التـاريخ بحيث يظهر دورها بصمة واضحة فى تاريخ الفكر والحياة

(١٣) النجاة من التعصب للفهم الشخصي : أنت ترى طه حسـين على ما عـرف عنه من ميل شـديد إلى ترجيح رؤاه الـذاتية معتـدلاً أشد الاعتدال فى كل ما يصدر من أحكام حين كتب الإسلاميات التى نتناولها فى هذا الكتاب، ولعله كان أقرب ما يكون إلى الصدق حين عبر بنفسه عن نفسه فى مقدمة «الفتنة الكبرى» حيث يقول · « وأنا أريد أن أنظر إلى هذه القضية نظرة خالصة مجردة ، لا تصــدر عن عاطفة ولا هوى ولا تتأثر بالإيمان ولا بـالدين ، وإنما هى نظرة المؤرخ الذى يجرد نفســه تجريدا كـامـلا من النـزعـات والعـواطف والأهـواء مهما تختلف مظـاهـرهـا ومصـادرهـا وغايـاتها » . ثم يُردف طـه حسين فيروى أن سعد بن أبى وقاص رحمه الله كـان على رأس الذين اعتزلوا الفتنـة ولم يشارك فيها وقال « لا أقاتل حتى تأتونى بسيف يعقل ويبصر وينطق أصاب هذا

وأخطأ ذاك » ويتبع طه حسين هـذا بقوله « فأنا أريـد أن أذهب مذهب سعد وأصحـابه رحمهم الله ، لا أجـادل عن أولئك ولا عن هؤلاء ، وإنما أحاول أن أتبين لنفسـى وأبين للناس الظـروف التى دفعت أولئك وهؤلاء إلى الفتنة ومـا استتبعت من الخصومـة العنيفة التى فـرقتهم وما زالت تفرقهم وستظل فى أكبر الظن إلى آخر الدهر » .

(١٤) إتاحـة التاريخ الإسلامى مقـروءاً بطريقة أدبية مشـوقة للقارىء العربى: ذلك أن كتابة التاريخ هى التى تجعله يميل إلى ناحية من نـاحيتين أن يكون أدبـاً مقروءاً أو سـهل القـراءة ، أو كتابـاً دراسياً مهجوراً أو مؤهـلاً للهجران .هذا المعنى قد يكون غائبـا عنا اليوم ونحن نستمتع بـالنعمة ، بيد أن تقـدير الظـروف التى كتبت فيها هـذه الكتب الرائعة لا بد أن يكون واضـحا أمامنـا ، وذلك أننا إذا رجعنا بذاكرتنا إلى العصر الذى كتبت فيه هذه الكتب فإننـا نجد بيئة غير تلك التى نعيشـها اليوم وغير تلك البيئة الممتازة التى عاشـها جيل آبائنا .وهذا هو جورجى زيدان على سبيل المثال فى مقدمة تاريخ التمدين الإسلامى يروى أنه لم يكن فى وسـعه أن ينشر تاريخ التمدين الإسلامى هكذا مرة واحدة ولا أن يفاجىء الناس بـه وإنما هو يعترف بأنه مهد لـذلك كثيرا ... وأقرأ معى قـوله « وأخـذنـا نهىء أذهان القـراء على اختـلاف طبقاتهم وتفـاوت معـارفهم ومـداركهم لمطـالعة هـذا التـاريخ بما ننشره من الـروايـات التاريخية الإسلامية تبـاعاً فى الهلال لأن مطالعة التاريخ الصرف تثقل

على جمهور القراء ، وخصوصا فى بلادنا والعلم لا يزال عندنا فى دور الطفولة .. فلا بد لنا من الاحتيال فى نشر العلم بيننا بما يُرغب الناس فى القراءة .. والروايات أفضل وسيلة لهذه الغاية ». بل إن طه حسين نفسه يكتب مطولاً فى هذا المعنى بعد نجاح الخطوات المباركة ، فى مقدمة كتابه على هامش السيرة إلى أن يقول .« فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب إلى الشباب قراءة السيرة خاصة وكتب الأدب العربى القديم عامة والتماس المتاع الفنى فى صحفها الخصبة فأنا سعيد حقا موفق لأحب الأشياء إلىّ وآثرها عندى .

بقى أن نتحدث باعتزاز عن هذا الأدب وهذا التشويق الذى تحفل به كتابات الأدباء وهو حديث يدخل فى نطاق الحديث عن العمل الأدبى بأكثر مما يدخل فى نطاق الحديث عن العمل التاريخى ولكن حسبنا فى هذا المقام أن نأخذ مثلا واحدا فنتأمل هذا التقسيم الأدبى الجميل والمشوق الذى وضعه أحمد أمين لعصور الإسلام فجرا وضحى وظهرا ولنقارنه مثلا بما يسمى فى تاريخ الفراعنة بالدولة القديمة والحديثة والمتأخرة والحديث فى القديم والقديم فى الحديث ، أو ما يسمى بعصور الأسرات .. إلخ) ألم تفقد هذه الحقب الحظ الذى أوتيته الحقب التى أرخ لها أحمد أمين ؟

الفصل الثالث

سمات منهج أدباء التنوير

(١) النظر إلى التاريخ الإسلامى كجزء من الدراسات الإسلامية :

فلا بد لكتابة التاريخ الإسلامى أن تنطلق من هذا المفهوم ولا بد لإجادتها من الإلمام بدراسات القرآن ولهجاته وأحكام نزوله وبلاغته .. إلخ والإلمام بعلوم الحديث والفقه والأصول والتوحيد والتشريع ، وقد أفاض فى الحديث عن أهمية هذه المقومات كثير من المؤرخين لعل أبرزهم الدكتور أحمد شلبى فى مقدمة كثير من كتبه .

وربما كان هو هذا المعنى الذى عناه الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى هو الآخر بقوله · « ولذلك كانت مهمة مؤرخ الحضارة الإسلامية مهمة شاقة عسيرة ، تحتاج إلى إحاطة شاملة بكثير من العلوم من تفسير وحديث وتاريخ وفقه وأدب واجتماع واقتصاد وفلسفة وعلم كلام وتصوف .. وعلى الجملة كافة العلوم المكونة للحضارة » .

ومما لا شك فيه أن دراسة طه حسين وأحمد أمين الأزهرية ثم شبه الأزهرية وكذلك البيئة التى عملا فيها قد ساعدتهما على التفوق (لاالتمكن فحسب) من كل هذه العلوم والدراسات الإسلامية ، فجاءت كتابتهما لهذا التاريخ كأبرز نموذج فى هذا المجال حين يتاح للتاريخ الإسلامى مؤرخ تسعفه على الدوام معارفه الإسلامية وثقافته الدينية وتعينانه على الفهم الجيد والتحليل العميق .

(٢) إجادة استخدام المصادر التاريخية : لا شك أن القرآن الكريم والحديث الشريف كانا على رأس المصادر التى أفاد منها الأدباء الذين كتبوا التاريخ الإسلامى ، وقد ساعدهم على الإفادة القصوى من هذين المصدرين إلمامهم التام بها الذى قد قد يصل إلى مرحلة شبه الحفظ أو الحفظ عن ظهر قلب حتى أصبح من اليسير تماماً عليهم أن يعرفوا فى كل آن مواقع خطاهم ، وبخاصة فى التاريخ للفترة الأولى من الدولة الإسلامية فى عهد النبى .

وعلى الرغم من قلة مصادر كتابة التاريخ التقليدية كالحفريات والدرسات القائمة على علوم النميات .. إلخ فقد استطاع هؤلاء أن ينتبهوا إلى كل ما أثمرته مثل هذه الدراسات من نتائج .. وإن كان دور هذه المصادر فى الحقيقة أقل أثراً فى صياغة أو كتابة التاريخ الإسلامى .

(٣) الدقة فيما يتعلق بالوقائع التى تتصل بالنبى عليه الصلاة والسلام : من سمات البحث العلمى أن يفيد الإنسان من الخطأ الذى يقع فيه ، وربما يندرج تحت هذا الباب ما حدث لطه حسين فى أعقاب إصدار كتابه عن الشعر الجاهلى ، بيد أنه من الطريف أن نذكر

أن طه حسين ظل واعيا للدرس الذى تلقاه من هذه المعركة وظل كذلك (وبنفس القدر) يعانى من السمعة التى ترسبت مع كثرة ترددها .. على حين أن طه حسين نفسه كان قد أصبح أشد الأدباء جميعا (على ما نظن) تحرزاً فى رواية ما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم إذ يقول فى مقدمة على هامش السيرة « فإذا اتصل الخبر بشخص النبى فإنى أرده إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه لا احتمل فى ذلك تبعة خاصة لأنى لا أذهب فيه مذهبا خاصا إلا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول إلى قلوب الناس » .

(٤) **حرية الفكر** : كان أحمد أمين حر الفكر إلى أبعد الحدود لا يقول إلا ما يعتقد ولم يكن أبدا من الحريصين على الأخلاق المشجعة على مصانعة السلطان أو تملق الجماهير أو مشايعة الأهواء .

ولعلنا نستشهد هنا بقول الدكتور الأهوانى عنه : « تبدو هذه الحرية فى الجهر باعتقاداته الدينية على الرغم من مصادمتها لمشاعر الجمهور ومخالفتها للمألوف من التقاليد طويلة الأمد . فقد جاهر بالانتصار لمظهر المعتزلة أهل العقل فى الإسلام ونادى بالرجوع إليه مع أن المسلمين عارضوا ذلك المذهب منذ القرن الرابع ، وحكموا على أصحابه بالكفر وحرقوا كتبهم ومنعوا تدريسها فى مدارسهم ، وجاهر برأيه فى الشيعة ومعتقداتهم حتى كاد تصيبه من جراء ذلك محنة عظيمة حين كان ببغداد بعد أن أصدر فجر الإسلام » .

وهكـذا ترى أن أحمد أمين لم يبـال بالمتعصبين لأهل السنـة كما لم يبال بـالمتعصبين لأهل الشيعة ، وكـان طه حسين هـو الآخر نمـوذجا لحرية الفكر يبد أنه ـ واللـه أعلم ـ كان يعانى فى أعماق نفسه دائما من آثار أزمة كتابه فى الشعر الجاهلى ، وربما كان أحمد أمين كان على عكس ما قد يعتقـد الناس أكثر من طـه حسين قدرة على المجاهرة بـاعتقاداته الدينية بل وقد فعل ذلك فى مواضع ومنـاسبات عديدة ليس هذا موضع تفصيل القول فيها

(٥) وضوح الفكـرة : تميـز أحمد أمين وطـه حسين فى كتـابتهما بوضـوح الفكرة ، وقد كـانت هذه السمـة من أبرز السمات التى حببت انتـاجيهما إلى القـراء كما سـاعـدت بقـدر كبير على استحـواذ أعمالـهما للأحترام والذيوع والخلـود ، وسأطلع القارىء على فقرة واحدة لأحمد أمين تضم أحكاما كثيرة متتابعة ولكنهـا كلها تمثل نتائج علمية ممتازة يصعب على الدارس أن يصل إليهـا إلا بعد جهد جهيد وتـوفيق مقدور ، ولكن أحمد أمين وهو مَنْ وصفناه بأنه تميز بوضوح الفكرة يسردها كما لو كان يعدد بعض البديهيـات التى لا جدال حولها ، يقول أحمد أمين فى حديثه عن الشيعة .« والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسـلام لعداوة أو حقد . ومن كان يـريد إدخال تعـاليم آبائه من يهودية ونصرانيـة وزردشية وهندية ، ومـن كان يريد استقـلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هـؤلاء كانوا يتخـذون حب أهل البيت ستاراً

يضعون وراءه كل مـا شاءت أهواءهـم .. فاليهوديـة ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة . إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا ، كما قال اليهود « لن تمسنا النار إلا أيـاما معدودات» والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه .. وقالـوا إن اللاهـوت اتحد بالناسـوت فى الإمام ، وإن النبـوة والرسـالة لاتنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ، وتحت التشيع ظهر القول بتنـاسخ الأرواح وتجسيم الله والحلـول ، ونحو ذلك من الأقـوال التى كانـت معروفة عنـد البراهمة والفلاسفـة والمجوس من قبـل الإسلام ، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الإموية وما فى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم .. إلخ) .

وغنى عن البيان ما تميز بـه أسلوب أحمد أمين من وضوح وبعد عن المحسنات وعن التقعـر معا ، حتى كـاد بعض زملائه من الأدبـاء الكبار يخرجونه من زمرتهم بسبب هذا البعد عن التقليدية . وليس من شك أنه كان بإمكان أحمد أمين أن يقدم لقارئه أسلوب مسجوعا أو ممتعا ولكنه آثـر أن يعطى الاهتمام الأول للفكـرة والمعنى .. وكـان أميل إلى التعبير البسيط المعبر ، أما نصـاعة أفكار طـه حسين وجلاؤها فهو الأمـر الذى لايحتاج إلى مزيد من الحديث عنه .

(٦) **الانتصار للعقل :** ينبغى لنا أن نفهم أن التاريخ للحياة العقلية هو أصعب الجوانب فى تاريخ الحضارات لأنـه على الأقل يحتاج مثلاً إلى

عقل واع مدقق واسع الأفق قـادر على التحليل والاستيعاب والربط بين الظواهر المتباينة .ولا شك أن أحمد أمين كان أبرز الذين انتصروا للعقل فى كتابتهم مع أنـه كان يحلل العقل وينقده ، ولكنه حللـه بالعقل ونقده بالعقل ، وربما كان هذا هو ما أضفى على كتاباته مظهر الفلسفة مع أنها لم تبـدأ من منطلق فلسفى وإن انتهت إلى أن أصبحت هكـذا .. أما طـه حسـين فكان لا يفتأ ينادى أنه لـن ينتصر فى درسه للروايات إلا للعقل ، وكان يفعل . و ربما سـاعد أحمد أمين على هذا التفـوق العقلى فى دراسة التاريخ أنه عمل فى فترة مبكرة من حياته قاضيا شرعيا حيث أتيحت له الفرصة لتدريب عقله ووجدانه على استنباط الحق مما يراه من أوراق أو أقوال متعارضة متراكمة أمامـه ، وظاهر كل منها الحق ، وقد أفاد أحمد أمين من ممـارسـة القضاء القـدرة على تمحيص الـرواية التـى أمامـه ومبلغها من الصحة ، ومدى الباطل الذى يستتر وراء الدعوى المزيفة .. وهكذا . انظـر إلى دقته وحكمته الشديـدة وهو يروى قصـة قول كعب الأحبار لعمر: اعهد لمن بعـدك فإنك مفارق بعد ثلاث ،وإنى أرى ذلك فى التوراة ، فيسأله عمر. وهل تـجد عمر بن الـخطاب فى التوراة ، فيقول لا.. ولكنى أرى وصفـه .. إلخ) يـروى أحمد أمين هـذه القصـة فى معـرض حديثه عن شـخصية كعب الأحبار وعلمه .. إلخ) ولكن لا يفوته أن ينبهنا إلى ما لم ينتبه إليه أحد من قبله فيقول ما معناه . « وهذه القصة لا تدلنا على مقدار علم كعـب الأحبار بالتـوراة بقدر مـا تدلنـا على تورط كعب الأحبار فى مؤامرة قتل عمر بن الـخطاب » !!!

وكـان طه حسـين هـو الآخـر صـاحب قدرة على الحكـم النافـذ إلى الحقائق بفضل اشتغاله المستمر والمتصل بـالمسائل الإدارية والتنفيذية وانغماسـه الدائم فى السياسـة .

(٧) **تقدير حدود العقل** : على الرغم من التقديـر الشـديد للعقل فى الوصول إلى ما وصل إليه أدباء التنوير من بحث ممتاز إلا أن طه حسـين كـان يـؤمن تمامـا بأن للعقل حـدودا ، وأن العقل ليس كل شىء وهـو يصوغ فى هـامش السيرة هذا المعنـى تصريحا واضحا إلى أبعـد حدود الوضـوح حين يقول . « وأحب أن يعلم النـاس أن العقل ليس كل شـىء وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل». قد يقال إن طه حسـين يقصد دغدغة حواس الناس ولكن الحق أنه يقصد ألا ننكر على حـواس الناس بعض رغبتهـا فى الغذاء تمامـاً كما أننا نتيح الغذاء للعقل .

ونرى هذا الخلق من تقدير حدود العقل كأوضـح ما يكون فى كتابات أحمد أمين حين يتحدث عن الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة فى آخر جزء من كتابه ظهر الإسلام ص ٧٦ فيقول : « والناظر إلى الخلاف (يقصد الخلاف على الـذات والصفات) يـرى أن كلا مـن المعتزلـة والأشعريـة جاوزوا حـرصهم ودخلوا فى سفسطـات لا طائل تحتهـا ، وليس العقل البشرى بمستطيع شيئا من ذلك . إلا أننا لا نستطيع أن نقـول بالنسبة لأنفسنـا إن كـان علمنـا غير ذاتنـا وقـدرتنـا غير ذاتنـا أو هى ، فكيف

نستيطع أن نقول ذلك فى الله ، إن عقولنا ضعيفة لا تصلح إلا لخدمتنا فى الوصـول إلى أغراضنا فى الحياة الواقعية ومحاولة الوقوف على هذه الموضـوعـات ليست فى متنـاول العقل البشرى ، إن العقل البشرى لايستطيع أن يدرك حقيقة أى شىء إدراكا تاما ، وكل ما يستطيع أن يدركه هو بعض صفاته .. » .

وبالإضافة إلى هذا فقد كان الرجلان وبخاصة أحمد أمين ملتزمين إلى أبعد الحدود بالتواضع الشديد فيما كتباه لا يزعمان أولية ولا أسبقية، ولا عبقرية ، ورغم كل هذا الجهد الذى بذله أحمد أمين فإنه كان يقـول فى تـواضـع حقيقى « على أنى لم أقل إلا الكلمـة الأولى فى الموضوع»، وفى موضع آخر يقول : إن هى إلا نظرة الطائر . وهكذا . ومع أن مثل هذه العبارات يمكن النظر إليها على أنها بمثابة تحرزات من أحمد أمين إلا أن روح التواضع الحقيقى فيها ملموسة تماما .

وهـذا هو طـه حسـين يقول فى مقدمة كتابه على هامش السـيرة . « ولست أريـد أن أخدع القـراء عن نفسى أو عن هذا الكتـاب ، فإنى لم أفكر فيه تفكيرا ولا قدرته تقديرا ، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون ، إنما دفعت إلى ذلك دفعا ، وأكرهت عليه إكراها ورأيتنى أقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ويفيض بها قلبى وينطق بها لسانى وإذا أنا أملى هذه الفصول » .

(٨) **عدم الخلط فى الأحكام** :كان أحمد أمين يستقرىء الموضوع مع قارئه قبل أن يصـدر أحكامـه ، ولم يكن من أصحاب الأحكام الجاهزة أوالأفكار المسبقة التى يفرضها على قارئه مستعينا بتحوير الحقائق والمعطيات لتعطى إثباتا لما يريد . خذ مثلا حديث أحمد أمين عن علماء الحضارة الإسلامية تجده حديثا سلساً يعنى بالعلم نفسه قبل أن يعنى بأى استنتاجات أخرى كتلك التى يرددها ابن خلدون (وتناقلها عنه الناقلون) حين قال إن حملة العلوم فى الإسلام أكثرهم من العجم ، ثم يضطر ابن خلدون نفسه إلى أن يلجأ إلى معيارين مختلفين لنفى العروبة عن هؤلاء العلماء فتارة يستخدم معيار الجنس ، وتارة يستخدم معيار البيئة .. فينفى العروبة عمن عاشوا فى بلادهم وكانوا من أصول أخرى .. كما ينفيها عن العرب الذين عاشوا خارج جزيرتهم !! لا لشىء إلا لإثبات مقولة ظاهرها الحق أو الذكاء بينما هى الباطل بعينه .. أحب أن أذكر للقارىء فى مقابل هذا أن أحمد أمين لم يلجأ أبداً إلى مثل هذا الأسلوب لأنه كان يستقرىء الحوادث والواقع مع قارئه .. فلا يكاد يصدر الحكم الذى يريده إلا وقد أنطقه قارئه قبل أن ينطقه قلمه !! كان أحمد أمين يكيل بمعيار واحد ، وكذلك كان طه حسين .

(٩) **سعة الأفق** : تمثلت فى أحمد أمين سعة الأفق على أوضح ما يكون . وعلى الرغم من أنه عاش ثقافة عالم الدين ودارس الأزهر فإنه لم يكن يعتبر نفسه حامى حمى الدين فيفصله مثلا عن المداخل الأخرى فى كتابته ، وإنما هو ينهج المنهج العلمى فى التقسيم فيتحدث عن الدين

نفســه ضمن الثقافــات المختلفة فى البــاب الثــانى . ثم هو يتحــدث عن المذاهب الدينيــة فى الباب الرابع . ولا تسول له نفســه أبدا أن يخرج عن التقسيم الاجتماعى العلمى الذى لم يكن كثيرون يومها يلمون به . وكان طه حسين بحكم المدرســة الفرنسية التــى انتمى إليها منذ بعثتــه إليها قادرا على أن يستشرف ــ هو الآخر ــ على الدوام الآفــاق الجديدة التى تجعل فهمــه لكل الجزئيات صــادرا عن الفهم الجيد للكليــات الكبرى فى العلوم الإنسانية جميعها .

ولعل تعمق دراسة شخصيات أدباء التنوير وحياتهم تعيننا على فهم طبيعة المكونات الممتازة التي كونت ثقافتهم على هذا النحو . وعلى سبيل المثال فقــد كانت لأحمد أمين خلفيــاته الفلسفيــة (التى ربما يغفل عنها البعض) فقد ترجم كتاب مبادىء الفلسفة فى أول عهده بالتأليف ، وكان هذا الكتــاب من أوائل ما طبعته لجنــة التأليف والترجمة والنشر .. كذلك فقد يذكر القراء أن أحمد أمين ألف بالاشتراك مع د. زكى نجيب محمود « قصة الفلسفة اليــونانية » كما ألف كتابا مدرسيــا فى « الأخلاق » كان يدرس لطلبة المدارس الثانوية .

كذلك كــان طه حسين نموذجــا لأستاذ الأدب فى العصــور الوسطى الذى يلم بكل الآداب التى يقــدر لها أن تعترض بحثه العلمى فى الأدب فى كل آن . ولا شك أن هذه الخلفيــات كلها وغيرها قد ســاعدت على اتساع الأفق عند الرجلين فيما كتبا وألفا

(١٠) إيثار الموضوعية على الزمن والأبجدية : لم يحفل أحمد أمين بالمنهج التاريخى الذى يقدم سنة ١٠ على سنة ٣٠ لأنه لم يكن من أنصار أن يكتب تاريخ الحياة العقلية بطريقة الحوليات ، ولم يكن من أنصار الحديث عن الإعلام متفرقين مبعثرين لا تجمعهم إلا بدايات حروف اسماؤهم لأنه لم يكن يرى أن يكتب تاريخ الحياة العقلية على طريقة الطبقات ، إنما كان يعنى بأن يبرز الوحدة الموضوعية .

وهو يقول فى هذا المعنى فى مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام (وهو الجزء الخاص بالاندلس) « وكان أمامى أن أؤرخها تاريخاً افقياً أو تاريخاً رأسياً ، بمعنى أن أؤرخ الحياة العقلية فى عصر ثم اتبع ذلك بالعصر الذى بعده وهكذا .. أو أن أؤرخ كل علم من مبدأ ظهوره فى الأندلس وكيف تدرج .. حتى أخر أمره فيها .. ففضلت الطريق الثانى لأنه أنسب » . وكان طه حسين يفعل مثل هذا على مدى فصول الفتنة الكبرى فيتناول الرواية ويتناول ما سبق أحداثها وما أعقبه ، ثم يعود ، إلى رواية أخرى ، لا يؤثر شيئا على الوحدة الموضوعية !!

(١١) عبقرية التقسيم :كان أحمد أمين وكذلك كان طه حسين من أكثر أهل الأدب قدرة على تحليل الطيف وتبيين مراحله اللونية المختلفة . ويمكن لنا أن نتأمل أساس فصل فجر الإسلام من مرحلة ضحى الإسلام فنقرر أن أحمد أمين لم يجد صعوبة فى ذلك .. بيد أننا لانستطيع أبدا أن ننكر عبقريته الممتازة فى فصل ضحى الإسلام عن

ظهر الإسـلام ، وهو الأمر الـذى لخصه فى كلمات قليلـة تعكس دارسة واعية وتفكيرا ممتازا حيث يقول إنـه « عصر يمتاز بلون علمى خاص ، كما أن لـه لـوناً فى السيـاسـة والأدب خـاصـاً .. امتـاز بغلبـة العنصر الفارسى، وبحرية الفكر إلى حد ما ، وبدولة المعتزلة وسلطانهم وبتلون الأدب من شعر ونثر تلويناً احتُذى على كر الدهور واختلاف العصور ».

(١٢) **القدرة على الفلسفـة** :وصف د. أحمد فؤاد الأهـوانى جهود أحمد أمين فى تأليف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهرالإسلام بأنها عملية تحليل للعقل البشرى والأهوانى يـرى أن جهد أحمد أمين فى هذا العمل هو الفلسفـة على التحقيق «حاول أن يلتمس العلـل البعيدة التى غذت العقلية الإسلامية ونمتهـا وصقلتها وشكلتها فى شتى الصور على مر العصـور . واقتضى منه هذا التحليل أن يـرجع إلى العوامل الـدينية المستمدة من الإسـلام وإلى العناصر الدخيلة .. وفعل أكثـر من ذلك أنه نظر إلى العقل الإسـلامى فشرّحه فى حرية شـديدة ، وانتقل من التحليل إلى الأفكـار التركيبية التى انتهت إليهـا الحياة العقليـة حتى تحققت فى الحياة ، واستـوت فى مظاهـر السلـوك ، وبـرزت فى الأقوال المسطـورة والكتب المدونـة والعلوم المنتشرة .. ومن هـذا الـوجه كـانت لأحمد أمين فلسفة أبرزها فى أعلى كتبه شـأنـا وهو فجر الإسلام وضحاه وظهره » . ولمن يريد الإطلاع على جوهر فلسفة أحمد أمين كما صورها الأهوانى أن يرجع إلى المقدمة التى كتبها الدكتور الأهوانى فى مقدمة الجزء الثالث من

ظهر الإســلام . صفحات ٨، ٩ على سبيل المثــال . بيد أننــا نود أن نثبت للقارىء مــا ذكره الدكتــور الأهوانى (ص٩) من إجابتــه على سؤال أين تعلم أحمد أمين الفلسفة حيث يجب على هذا بقوله « الحق أنه علم نفسه بنفسه إلى جــانب نزوع فطرتــه إلى محبة الحق وإيثــار الحكمة وليست الفلسفة شيئاً آخر إلا معرفة الحقيقة لذاتها وطلب الحكمة». وفى موضـع آخر (ص١٠) يقول الأهوانى : « فالفكر فى نظر أحمد أمين أشبه بالنهر الجارى المتدفق، الحيــاة الاجتماعية راوفده ، والحركــة العلمية مجراه ، والدين مصبــه وغايته ، ونجد هــذه الفلسفة واضحة أعظم الــوضوح فى فجر الإسلام ، ومفصلة فى الضحى ، وأشد تفصيلا فى ظهر الإسلام » .

(١٣) الإدراك العميق لحقيقــة التــواصل التــاريخى : قد يدرك كثيرون من البـــاحثين والمثقفين والكتـــاب والمؤرخين أن الحاضر ليس بمنقطع عن الماضـى أو المستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتعمق هذا الإدراك إلى فهم الأثر الحقيقى للماضـــى فى الحاضر أو فى المستقبل .. ذلك أن هذا الأثــر لا يخضـع تماما لعــلاقة السببيــة ، ولا لعــلاقة رد الفعل المبــاشر فحسب ولكنـــه فى الحقيقــة ينشأ من تـــراكمات ، ومن بعض بقـــايـا أورواسب خفية .. ونحن قــد ندرك هذا أيضا ولكننــا لا نستطيع تحديد هذه العلاقات على وجه اليقين

ولكن أحمد أمين كان واعيا تماما لمثل هذه الآثار العميقة التى لا بد له من أن يتناولها فى موضـع يبدو وكأنــه غير موضعها ، وهو لهذا يتحدث

بروح العالم الجليل عن هذا الذى يفعل ، وكأنه يعتذر عن هذا الذى يفعل فيقول فى مقدمة ضحى الإسلام · « على أنى أحيانا ما يدعونى إيضاح الفكرة إلى أن أربطها بما كان منها فى العصر الذى قبله .. كما قد يدعونى تسلسلها إلى أن اتجاوزه إلى العصر الذى بعده !! » .

(١٤) انعكاس المقومات الممتازة فى شخصية أدباء التنوير على جهودهم: يمكن لنا أن نحدد كثيراً من الصفات الشخصية التى كانت وراء نجاح أحمد أمين (على سبيل المثال) فى هذا الجهد

(أ) فقد كان مثال الجد والاجتهاد الواضح فى كل أعماله وفى كل حياته التى بذل جهده فيها من أجل الأفضل دائما، لم تنتب هذه الحياة على الإطلاق فترة ضياع أو فترة خمود أو كسل .

(ب) كان نموذجا للأمانة المطلقة ، فيما ينقل ويروى ، فلم يعهد عنه أنه مارس تحويراً للنصوص ولا تشويهاً ولا تعسفا فى تفسيرها

(ج) التزم أحمد أمين الصدق المطلق مع نفسه ، فلم تسول له نفسه ، ولا سول لها الاعتقاد فيما لم يطمئن إليه قلبه من أجل محاباة الجمهور أو القراء أو الرأى العام

(د) تجرد أحمد أمين من العواطف الخاصة ، فلم يظهر عنده أى ميل لتضخيم صورة أو تقليل صورة أخرى من صور الحياة العقلية.

(هـ) تجرد أحمد أمين بحكم انتمائه الفكرى من الأهواء المذهبية التى عصفت بنفوس قرائه .

(و) تميز أحمد أمين بالإضافة إلى هذا كله بعقلية ممتازة فقد جمع الاستقصاء الحسن إلى القراءة الجيدة إلى الفهم العميق إلى الاستنباط الصائب .

(١٥) **البعد عن التعصب للرأى السائد أو للرأى الذاتى :** يمكن للقارىء أن يكتشف بسهولة أن أحمد أمين لم يكن يقطع بالرأى إلا بعد البحث والتنقيب ، وجمع الأدلة والبراهين ، وكان كثيرا ما يعطى الإيحاء بأنه على استعداد للنزول عن رأيه إذا اتضح له بطلانه أو نبهه إلى ذلك ناقد . وقد كان طه حسين هو الآخر ديكارتيا من الطراز الأول لا يثبت الرأى إلا لينقده بل إنه قد ينقضه ، وربما كان طه حسين يفعل هذا بأداء الأديب الساحر على حين كان أحمد أمين يفعله بطبيعة العالم العاقل المتعقل ولكنهما على أى حال كانا من أبرز الذين تميزوا بهذا الخلق الكريم .

(١٦) **تقبل النقد :** كان أحمد أمين بالذات من أوسع الناس صدرا لتقبل النقد الموجه إليه ، ويقال إنه لم يسبق لكاتب أن خصص من صفحات مجلته كل هذا القدر الذى أتاحه أحمد أمين لنقاده فى مجلة الثقافة (وهى المجلة التى كان يتولى مسؤليتها كاملة حتى تكاد لا تذكر

إلا ومعها اسمه) مهما كان لاذعا ، وقد صدَّر أحمد أمين الطبعة التالية من فجر الإسلام بشكر الذين نقدوه وحللوه وفى مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام كتب فى وضوح وصراحة راجيا القراء ... « لا كما يقول السابقون أن يغضوا الطرف عما فيه من عيوب بل أن يقيدوها ويشرحوها ويبينوها لى ، حتى اتدارك ما لا يخلو من مؤلف من خطأ .. فالحياة العلمية إنما تحيا بالنقد وتتقدم بتمحيص الآراء وإظهار العيوب وحسن التوجيه » .

وربما كان طه حسين أقل قدرة على تقبل النقد من أحمد أمين ، ولكنه ربما عوض هذا بكثرة نقده لما يكتب أثناء كتابته له .

(١٧) **الوعى بالأدب المقارن** : لا شك أن الأدب المقارن يمثل وسيلةمن أفضل الوسائل لدراسة التفاعلات الحضارية والتاثيرات المتبادلة بين الحضارات ، وهو الأمر الذى يمثل اهمية خاصة فى التاريخ للحياة العقلية ، ومن حسن الحظ أن أحمد أمين قد تمتع بفهم عميق ووعى ممتاز بالأدب المقارن ، ويتضح لنا مثل الفهم عندما نقرأ لأحمد أمين فصله عن الأدب الصوفى فى الجزء الرابع من ظهر الاسلام وتحليله لهذا الأدب حيث يقول : « وقد كان الأدب الصوفى نتاجا لجنسين مختلفين . الجنس السامى ويمثله الأدب الصوفى العربى ، والجنس الآرى ويمثله الأدب الصوفى الفارسى وعنده أن التصوف « السامى »

كلــه وله وحنين وإخــلاص وحيرة مصدرهــا يتعلق بالإعجــاب والحب والعاطفة ، والسامى يحب فيحس عذاب الحب أو نعيمه إلى درجة بعيدة، وقــد يبالغ فى هــذا أو ذلك ، ثم يخرج عــذاب نفسه شعــراً دافقاً مملــوءاً بالسخط والضجر والألم والأنين والاطمئنان إلى هذا الألم والحنين .

أشكـــو وأشكـــر فعلــــه   فأعجب لشــاك منــه شــاكــر

فهذه عاطفة صــادقة امتلأت بالحب وأورثت الألم ثم إن النفس عن كل هذا راضية بل هى تسمو إلى أرفع منــازل التضحية وتجود بالحياة فى سبيل الغرام وحرصا عليه .

إن الغرام هــو الحياة فمت بــه   صبا فحظـك أن تموت وتعذرا

أما الأدب فى التصوف الآرى فكله غرام وحب ولكنه حب ، تمتزج فيه العاطفة بالفلسفة يبدأ التصوف عنده بالفهم والإدراك ثم التفلسف .. أما السامى فيبدأ بالشعور ولا يلزم أن يكون هناك شىء أخر » .

ولا شك أن طه حسين كان هو الأخر من أبرز القادرين على عقد مثل هذه المقارنات وإدراك هذه المفارقــات والتوصل من خلال ذلك إلى ما قد يفيد دارسة التاريخ .

(١٨) الإفادة من الخبرة فى كتــابة التراجم :تمثل الخبرة فى كتابة التراجم عنصراً من أهم عناصر القدرة على التفوق فى كتابة التاريخ .

وربما يَصْعُب على كثيرين تصور الفصل بين كتابــة التاريخ وكتابة التراجم وبخاصة مع الكتاب الممتازين الذين تمكنوا من الأدبين .

وفى الحقيقة أن كلا من أحمد أمين وطه حسين نموذج لكتاب التراجم المتاز الذى يتفوق إذا ما تناول كتابة التاريخ . ولا شك أن كاتب التراجم يملك كثيرا من المقومات اللازمة لتفوق المؤرخ . فهو يستطيع البحث عن الأدوار المختلفة لنفس الشخص بحيث يرى تأثيره الحقيقى فى التاريخ من دون أن ينساق إلى إخضاع الاتجاهات الشخصية للتيارات التقليدية أو المفترضة أو الصدفة المحضة !! أو بعوامل غير محددة .. وهو كذلك قادر على أن يجيد الحديث عن دور أبرز العناصر فى صياغة الحوادث التاريخية ، وهو الإنسان نفسه ، الإنسان المؤثر فى الأحداث وتعاقبها . وربما يلمس القارىء هذا المعنى إذا ما تأمل الفارق بين كتابة التاريخ على الطريقة التى بين أيدينا فى كتابات أدباء التنوير وبين الكتابات الأخرى التى لا تمثل إلا صورة من صور التطبيق الأمين للرؤى المذهبية التى تتقمص للأدوار (الجبرية) أشخاصا لعبوا دورا ما على ساحة الحياة .

(١٩) دقة الاستشهاد وبراعته : كان أحمد أمين حريصا فى « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » وكذلك فى الجزء الأول من ظهر الإسلام على أن يورد النص بحروفه ثم يتبعه بما يريد من تعليقات أواستنتاجات . ولكنه بدءا من الجزء الثانى من ظهر الإسلام آثر أن يترك هذا المنهج وقال :« أما فى هذا الجزء فقد هضمنا ماقرأنا ثم حكينا ما خلص لنا من غير ذكر نص إلا من القليل النادر واكتفينا بذكر المراجع عقب كل باب »

ويبدو حياء أحمد أمين الشديد وهـو يروى ذلك حين يردف بقوله «وعذرنا فى ذلـك ضعف الصحة وعدم قدرتنـا على إثبات النصوص كما قـرأناهـا أو سمعنـاها ..على أن هـذه الطـريقة إنما اتبعت لكى يصـدق القارىء المؤلف فى تآليفه ، فإذا كان قراؤنا لم يصدقونا مما سبق فعلينا العفاء وإذا صدقونا اكتفوا منـا بمسلكنا فى هذا الجزء » . أما طه حسين فكان يورد الرواية حين تكون الروايـة غير متواترة ، ويشـير إلى تواترها فحسب إذا كانت كذلك ، ويعتذر عن عدم ذكر المصادر إذا كان قد انتهج فيما كتب أسلوبـه الذى عرف به والـذى اتضح فيه شدة تمثل الـرواية وتشربحها

(٢٠) **كثـرة المراجع غير المبـاشرة** : و بالاضـافة إلى ما ذكـرنا فى الفقرة السابقة نـود أن نشـير إلى أن القارىء لأحمد أمين وطه حسين قد يجد كثيراً من الحقائق التـاريخية مبثـوثة فيما يكتبـان ، ولكنه لا يجد إكثاراً من الأديبين العظيمين فى ذكـر مصادر هذه المعلومـات ، ولوتخيل القارىء الـدراس أن واحدا من جيل الأكاديميين اليوم يكتب مـا يكتبان لكان عليـه أن يطالع إشارات إلى المراجـع تبلغ فى حجمها ضعف المتن .. ومع هذا فإن الأسلوب الذى اتبعه الأديبان لا يزعزع أبدا فى ثقة القارىء فى رجـوع طـه حسين وأحمد أمين إلى المراجع . أو أن يـؤكـد ثقـة هـذا القارىء فى المؤلفين المحدثين !!

و ليس من شك أن طه حسين وأحمد أمين كانا يستطيعان أن ينهجا ما ينهجه مـؤلفو اليوم ، و لكنهما انتبها إلى ما هـو أهم من هذا .. انتبها إلى أن الأهم هـو ذاك الذى يعبر عنـه المؤرخون بقـولهم « تفكير المؤلف

وفهمه للأحداث » . وهكذا يجد القارىء نفسه وقد أحس بأن مؤلفه قد بحث أكثر مما جمع ، على حين يراوده الشعور المؤكد بأن المؤلفين المحدثين يجمعون بأكثر مما يبحثون ، أو بعبارة أدق ينجحون فى إظهار قدرة على الجمع دون أن يعنوا لا بالبحث ولا بإظهار القدرة عليه .

(٢١) المرونة والتقدم فى تنفيذ المنهج : لم يلزم أحمد أمين نفسه بمنهج واحد فى كتبه ، ومع أن منهجه العام كان تقريبا التزام تقسيم الحديث على أبواب ثلاثة هى الناحية الاجتماعية ثم العلمية ثم الدينية إلا أنه فى فجر الإسلام مثلا أخذ نفسه بطبيعة العصر الذى يؤرخ له فامتزجت الأبواب الثلاثة .

كذلك فقد اختص أحمد أمين الأندلس بجزء خاص من ظهر الإسلام وعلل ذلك بقوله . « وذلك لما تعرف من امتياز حضارة الأندلس عن باقى الحضارات الإسلامية ، ولسبب آخر هو امتداد هذه الحضارة طوال الفترة منذ فتح العرب الأندلس حتى خروجهم منه » .

ويتحدث أحمد أمين فى كتابه حياتى (ص ٢٢٥) عن منهجه فى فجر الإسلام فيقول : «فرسمت منهجه ورتبت موضوعاته ، وكنت إذا ما وصلت إلى موضوع أجمع مظانه فى الكتب ، وأقرأ فيها ما كتب عن الموضوع ، وأمعن النظر ، ثم اكتبه مستدلا بالنصوص التى عثرت عليها حتى أفرغ منه ، وانتقل إلى الموضوع الذى بعده وهكذا .. وكانت أكثر الأوقات فائدة الاجازة الطويلة إذ كنت أجمع الكتب التى يُظن أنها تبحث فى الموضوع ، و أحملها على دفعتين أو ثلاثة إلى مائدة وضعتها خلف بيتى فى مصر الجديدة ، وأبدأ العمل فى الساعة الثامنة صباحا وأجلس

على كرسى أمام المكتب أفليها واستخرج نصوصها واستخلص من كل ذلك ما أكتبه إلى ما بعد الساعة الواحدة جلسة واحدة أنسى فيها نفسى وأنسى كل شىء حولى وهكذا أفعل فى أيام العمل التى لا يكون علىّ فيها دروس فى الجامعة حتى ينتهى الجزء »

ويتحدث أحمد أمين عن منهجه فى تأليف ضحى الإسلام فيقول : «وترقيت فى منهج التأليف فى ضحى الإسلام فقد رتبت موضوعاته التى تستغرق ثلاثة أجزاء وأحضرت ملفات كتبت على كل ملف اسم المضوع، ملف عليه اسم المعتزلة وآخر الخوارج ، وثالث أثر الجوارى فى الأدب ، ورابع الثقافة الهندية .. إلخ) ثم حصرتُ أمهات الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات كالأغانى والحيوان و الجاحظ وكتب ابن قتيبة ورسائل الجاحظ وكتب ابن المقفع ونحوها أقرؤها كلها فإذا وصلت إلى نص يتعلق بالمعتزلة كتبت فى ورقة صغيرة مغزى النص ورقم الصفحة فى الكتاب ووضعتها فى ملف الموضوع وكذا حتى أفرغ من هذه الكتب كلها.. وهكذا دور التحضير .. فإذا جاء دور الكتابة استخرجت ملف الموضوع وأعدت النظر فى الجذاذات ورتبتها حسب الترتيب المنطقى وفكرت فيها وبدأت أكتب .. وكلما عنت فكرة جديدة رجعت إليها فى مظانها .. حتى ينتهى الموضوع فانتقل إلى ما بعده وهكذا.. » .

(٢٢) تناسب حجم المادة المكتوبة مع الأهمية التاريخية : كثيرا ما يعترى المؤرخ شعور خفىٌ بأنه لا بد من الموازنة بين المادة التاريخية المكتوبة وبين الزمن (بمعناه الرياضى) الذى وقعت الأحداث فيه ، و بين المادة التاريخية المكتوبة بحيث يعطى لكل ما وقع فى السنة من أحداث

حظه من الكتابــة بقدر زمنه .. وبحيث يخرج كتابه فى النهــاية أقرب إلى (الأجندة) التى تعطى لكـل أيام السنة صـفحـات متسـاويــة ، وفى الواقع أننا نجد هــذا الخلق بارزا جدا فى كتب الحوليات . وكثيرا أيضــا ما يدفع التعصب (وأحيانــا التسرع ، وأحيانــا أخرى عدم الــدرس الجيد) إلى أن يخرج كتاب التــاريخ على نحــو أصدق مايــوصف بــه أنه كــاريكاتيرى يعكس بوضــوح منهج صاحبه فى معــالجة موضوعــه .. خذ على سبيل المثال كتاب الدكتــور فيليب حتى عن تاريخ الإسلام حين خصص مائة وخمسين صفحــة للحديث عن العــرب فيما قبل الإســلام ثم تحدث عن سيرة الرسـول كلها فى عشر صـفحــات و هكذا فإن بعــض المؤلفين قد يجدون أنفسـهم كثيرا فى حيرة من أمــرهـم ، و بخــاصــة إزاء الفصـــول الأخيرة التى يتعجلـون كتابتهــا حتى ينتهوا من كتــابة كتبهم بعــد أن استغرقهم الــوقت فى الفصـول الأولى ، ولكننــا لانجد هذا المأخــذ فى جهد أحمد أمين ، قــارن بين حجم كتــاب فجــر الإســلام وبين حجم كتــاب ضحى الإســلام ثم بينها وبين حجم ظهــر الإسلام وأقــرأ لأحمد أمين اعترافه حين يقــول « وكنت أقدر أن يكون فى حجم كــذا فإذا بى أجدنى مضطرا أن أجعلــه على نحو كذا » . وهذا هــو عين المنهج العلمى الذى لا يتعسف صاحبه فى إلــزام نفسه ما لا يلزم ، وإنما هو يعالج مــوضوعه بالقدر الذى لا بد لموضوعه أن يعالج فيه

(٢٣) **مثالية الحجم** : لا شك أن كتب أحمد أمين عن فجر الإسلام وضحى الإســلام وظهر الإســلام هى أكثر الكتب استحقــاقا لــوصف الامــام النسفى المفسر العظيم لتفسيره بأنــه ليـس بــالطـويل الممل ولا

بالقصير المخل .. فقد استطاع أحمد أمين من خلال توسعه فى كثير فى بعض المواضع أن ينجو تماما من مغبة تعميم الأحكام ، وإطلاق القول على عواهنه على نحو ما نرى فى كتابات أخرى مناظرة .. وقد أتاح له الحديث تحت عنوان محدد أن يستوفى الموضوع حقه . كذلك ابتعد أحمد أمين عن أن يكون قافزا بكتابته من موضوع إلى موضوع ، فنجا من ذلك الخلق الذى لا يمكن التعبير عنه بأصدق من الوصف الذى وصف به الدكتور عبد الوهاب عزام كتاب بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٢٧) عن تاريخ الحضارة الإسلامية بأنه « يظهر الاقتضاب فى بعض فصوله حتى يشعر القارىء أنه انتقل من موضوع لم يستوفه إلى آخر لم يمهد له».أما كتابا طه حسين عن الفتنة الكبرى فإنهما لا يزالان إلى اليوم أولى المصادر متوسطة الحجم للحديث عن هذه الحقبة .ومن حسن الحظ أن هذا لايمنع من الاقرار بحقيقة أن مجموعة مؤلفات أدباء التنوير فى هذا المجال تبقى كذلك قابلة للاختصار حتى تكون متاحة لمستويات مختلفة من الشباب ، وتبقى بنفس القدر قابلة للشروح والتعليقات والحواشى الكفيلة ببيان عظمة ما فيها من تركيز شديد .

الفصل الرابع

المكانة التاريخية لأعمال أدباء التنوير

(١) إنشاء التاريخ لا تلوينه : كان على أحمد أمين وعلى طه حسين فى هذه المجموعة من الكتب أن ينشئا التاريخ الإسلامى من أساسه ، فلم يكن دورهما فيما قدما من كتابات رصينة ترجيح رواية على أخرى أوتوسيع متن سابق ، أو تلخيص كتابات متناثرة أو تجميع كتب تتناول عصراً واحدا . وإنما كانت المهمة (بأدق عبارة) هى إنشاء التاريخ من أوله..

وهذا هو ذات المعنى الذى حاول طه حسين نفسه أن يعبر عنه حين قال فى وصف جهد أحمد أمين فى مقدمة ضحى الإسلام " إنه خاض حربا ضد الغموض والإبهام " " أى أن أحمد أمين لم يكن مُرجح رأى على رأى ولا محُكما بوثيقة ، وإنما كان صاحب جهد واضح فى إزالة الغموض واللبس .

(٢) **التاريخ للتاريخ والتاريخ للقراءة** : يمكن القول بأن أعمال أحمد أمين كانت كلها من باب التاريخ للتاريخ ، وكان طه حسين هو الآخر يحب أن يكون له باع كبير فى هذا المجال ، وقد قدم بالفعل صورة ممتازة ، بيد أنه كان يرى أن فى وسعه كذلك أن يخصص جهدا آخر من الكتابة التاريخية التى هى أكثر قربا من جمهور الناس من التأريخ العلمى ..ولذا فإنه رأى فى كتابه « على هامش السيرة » نموذجا أقرب إلى النوع الثانى منه إلى النوع الأول ولهذا تجده يتحدث عن هذا المعنى فى مقدمة كتابه على هامش السيرة فيقول : « هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لأنى لم أرد بها إلى العلم ، ولم أقصد بها إلى التاريخ وإنما هى صورة عرضت لى أثناء قراءاتى للسيرة فأثبتها مسرعا ، ثم لم أربنشرها بأساً، ولعلى رأيت فى نشرها شيئاً من الخير فهى ترد على الناس أطرافاً من الأدب القديم قد أفلتت منهم »... إلى أن يقول بعد ٣ صفحات « إلى هذا النحو من إحياء الأدب القديم ، ومن إحياء ذكر العرب الأولين قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب » .

(٣) **عبقرية التاريخ للفكر** : حين بدأ أدباء التنوير مشروعهم كانت الفكرة كما ذكرنا أن يختص أحمد أمين بالحياة العقلية وأن يختص عبد الحميد العبادى بالحياة السياسية وأن يختص طه حسين بالحياة الأدبية ، ولكن أحمد أمين وهو الوحيد الذى أدى دوره كاملا ، قام بالإضافة إلى دوره بجزء كبير من الدور المفروض للعبادى وبجزء كبير من المفروض لطه حسين .

كان على أحمد أمين أن يتناول التاريخ من الناحية العقلية وبالناحية العقلية أيضا ، وهكذا كان عليه أن يتناول أصعب جوانب الحياة تأريخا. وهــو يتحدث عــن هذا المعنى بـوضــوح وجلاء فى أول مقـدمـة ضحى الإسـلام فيقول « ولعل أصعب مـا يواجـه الباحث فى تـاريخ أمة هـو تـاريخ عقلهـا فى نشوئه وارتقـائه ، وتـاريخ دينها ومـا دخلـه من آراء ومـذاهب . ذلك أن مدار البحث فى المســائل المادية ومايشبهها واضح محدود ، وما يطرأ عليها من تغير ظاهر جلى . أما الفكرة فإذا حاولت أن تعرف كيف نبتت ، وكيف نمت ، وما العـوامل فى إيجادها ، وما العناصر التى غذتها ، وما الطوارىء التى طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها ، أعياك ذلك ، وبلـغ منك فى استخراجه الجهد . لأن الفكرة أول أمرها لا مظهر لها نستدل به عليهـا، وقد تتكون من عناصر قـد لا تخطر على بال ، ويعمل فى تغييرها وتعـديلها عوامل فى منتهـى الغموض . والمذاهب الدينيـة قد يكون الباعث عليها غير ما ظهر من تعاليمها ، قد يكون الباعث سياسيا، وهى فى مظهرهـا الخارجى مجردة من كل سياسة ، وقد يكـون الباعث لها فى إفساد الدين فتتشكل بشكل المتحمس للـدين . وقد يكون المذهب صـالحاً كل الصلاح ولكـن يحكيه أعـدائه فيشوهـونه ، ويلغـون فيه فيفسدونه ، فيقف الباحث حائرًا ضالاً ، يتطلب بصيصاً من نور يهديه، أو أثراً فى الطريق سلكه مَنْ قبله فيحتذيـه . وفوق هذا فالأفكار متنوعة والآراء متعـددة وقضايـا كل عصر تخالف مـا قبلها ، ويـراها البـاحث فيظنها أول وهلة جديدة لم ترتبط بما قبلها ولم تتصل به أية صلة فما عسى أن يكـون بينهما من قـرابـة أونســب ومـا قـد يصل بينهما من

سبب.ففى سبيل الله ما لا يلاقى مؤرخ الفكرة من عناء لا يتناسب وما يحصله من انتاج » .

ولا أظننى بعد ذلك فى حاجة إلى التعقيب على هـذه الأفكار الواضحة المعبرة التى لخصت الموقـف الـذى استطـاع أحمد أمين أن يتفـوق فى معالجته له .

(٤) دور الشعر فى التاريخ الاسلامى فى عهـد أدباء التنوير: لابد لى أن أذكر أن جهـد الشعراء فى التأريخ الإسلامى قد سبق جهـود أدباء التنوير وإن لم يكن على نفس الخط تمامـاً ، و ربما كان الفارق بين هذا التناول و ذاك هـو الفارق الـواضح بين تناول الشعـر و تناول الأدب ، وإذا كان لنا أن نذكر جهود أحمد أمين و طه حسين كرائدين عظيمين فى هذا المجال الـذى نتحدث عنه فمن باب أولى أن نشير إلى جهـد شاعرين عظيمين تركا لنا أثرين عظيمين من الأعمال الشعرية المطولة التى تتناول تاريخ الإسلام على مدى القرون السـابقة ، و هذان هما الشاعران أحمد شوقى وأحمد محرم .

لابـد أن نـذكر مـا قـام بـه أمير الشعـراء أحمد شوقى فى ديـوانـه أومطولته « دول العرب و عظماء الإسـلام » و التى تعتبر نموذجاً رائعاً لـلأعمال الشعريـة التى تناولت التـاريخ الإسـلامى ، تعريفـاً بأمجاد الإسلام و عظمتـه و انتصاراتـه ، و من البدهى أن الشعـر حين يسجل التاريخ يكون أكثر ميلاً إلى الفخـر منه إلى التحليل ، و يكون كذلك أكثر ميلاً إلى ربط الحوادث فى إطـار واحد من الحديث عن النجـاح المتواصل والمجد المتصل ، و من الطـريف أن شوقى صـاغ هذه القصيدة المطـولة

وهو مَنفيٌ فى الأندلس ، و حين نتأمل صياغتها نجدها تأخذ شكلاً يكاد يكون وسطاً جامعاً لطريقتى تأليف الكتب أو صياغة الخطب، فهى تبدأ بالحمد لله (فى عدة أبيات) ثم بالصلاة و السلام على رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام و هكذا يمضى أمير الشعراء يسعرض التاريخ الإسلامى عائداً فى بعض الأحيان إلى جذوره القديمة حين يصف البيت الحرام ، ويذكر تاريخه ويشير إلى أنباء اسماعيل و فى أحيان أخرى يرتفع صوت المعلم والناصح فى قصيدة شوقى ، كذلك فإنه يلح على الدوام على تنبيه الأبصار إلى الاعتبار من حوادث التاريخ الإسلامى

وليس من شك فى أن منظومة شوقى عليه رحمة الله كانت من أشهر النماذج التى اعتمدت على التاريخ فى جلاء صورة الإسلام و المسلمين عبر ماضٍ طويل ، وقد كان من المفترض أن نكون من الذكاء الدينى الوطنى والقومى فنقررها ككتاب ذى موضوع واحد على طلابنا فى مطلع المرحلة الثانوية أو نهاية المرحلة الإعدادية على سبيل المثال ، ونقرر على الطلاب حفظها بحيث يكون التاريخ الإسلامى مرتبطاً و مترابطاً فى أذهانهم إلى الدرجة التى يسهل عليهم استحضاره فى المواقف المختلفة من حياتهم فيما بعد ، و أحب أن أنبه هنا إلى ما ذكرت فى المقدمة من اقتناعى بفائدة تقرير مجموعة كتب أحمد أمين وطه حسين فى مطالع المرحلة الجامعية حين يكون الناشىء منا قد أصبح مهيئاً تماماً للبحث والتحليل و التفكير المركب.

و لا يقل بحالٍ من الأحوال (إلا فى الشهرة) عن جهد شوقى فى قصيدته المطولة أو ديوانه ، جهد الشاعر العظيم أحمد محرم فى عمله الرائع العظيم الإلياذة الإسلامية أو ديوان مجد الإسلام ، و من الطريف

أن نذكر أن أحمد محرم قد ضمن هذه القصيدة الطويلة جداً بعضاً من قصائده التى نشرها قبل ذلك بعناوين أخرى ، و ليس هذا هو مجال الدراسة المقارنة بين القصيدتين العظميين ، إنما أقصد كما يرى القارىء إلى التعريف السريع .

و بالإضافة إلى جهد أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدة « دول العرب و عظماء الإسلام » فقد نال الخلود و الذيوع المتصل عمل آخر من أعماله هو همزتيه التى عارض بها همزية البوصيرى ، كما عارض بنهج البردة بردة البوصيرى ، و همزية شوقى هى تلك القصيدة التى يسمعها المواطن المسلم و العربى كل يوم تقريباً حين تغنى السيدة أم كلثوم بعض أبياتها *.

---

* غنت أم كلثوم من « نهج البردة » ثلاثين بيتاً من مائة وتسعين ، من هذه الأبيات ستة فى الغزل وثلاثة فى الحكمة وخمسة فى الضراعة والتعبد واثنا عشر فى مدح الرسول وأربعة فى الدعاء .

ومن قصيدة « إلى عرفات الله » غنت أم كلثوم خمسة وعشرين بيتاً من ستين ، من هذه الأبيات التى غنتها ستة أبيات حداء لركب الحجيج ، وثمانية فى الدعاء واستغفار الله ، وبيت واحد فى الحكمة وعشرة أبيات فى زيارة الرسول .

أما « الهمزية » فقد غنت أم كلثوم منها أربعة وثلاثين بيتاً من مائة وواحد وثلاثين وقد جاءت تسعة أبيات منها فى بشرى مولد النبى ، وثلاثة عشر بيتاً فى الإشادة بدعوته للدين الإسلامى وسبعة فى مدح الرسول وخمسة فى التضرع والدعاوى

أما أول قصيدة دينية غنتها أم كلثوم من شعر شوقى فهى « سلوا قلبى » ، وقد تواترت الروايات أن أم كلثوم حين وصلت إلى قول شوقى

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

نهض المستمعون الذين حضروا الحفل يطالبون الانجليز بالجلاء عن مصر !!

و قد كـان لشاعر النيل حافظ إبـراهيم هو الآخر جهد بـارز فى هذا المجال بقصيدته « العُمرية » ، التى تقترب من ثلاثمائة بيت ، وقد تناول فيها شـاعر النيل سيرة عمر بن الخطـاب من نواح عـديدة ، وانعكست فيها إلى حد كبير تطلعاته إلى مجد الإسلام و اعتزازه بماضيه .

كذلك لابـد لنا أن نذكر قصيـدتين أخريين لشاعـرين كبيرين جداً ، يبدو (بوضـوح) أنهما نُظمتا لتنافسا قصيدة حـافظ إبراهيم عن عمر ابن الخطاب و أعنى بهما قصيدة « العلويـة » للشاعر الكبير محمد عبد المطلب عن الخليفة الـرابع على بن أبى طالب و التى جاء فى مطلعهـا بعد المقدمة ·

فـهب لى ذات أجنحـــة لعلى ألقى على الســحب الإمامـــا

إمام بنى الهدى و هو ابن تسع وأول مســـلم صلى وصـامـــا

وقصيدة « البكرية » للشاعر العظيم عبد الحليم المصرى التى يتناول فيها سيرة الخليفة الأول أبى بكر بن الصديق و التى يقول فيها

نهضت بأمر الناس و الدين لم يزل رضـــيعاً بأطراف الجزيرة حابيا

فلولاك عُلْت الأمـــر بعـــد محمـــد لهـدوا من الإســلام ما كان بانيا

ولو كان الأمر بيدى لألفت من هذه القصائد الثلاثة كتاباً آخر يكون مقرراً على صف دراسى تـالٍ للصف الذى درس مطولـة شوقى « دول العرب و عظماء الإسلام » .

لا ينبغى لنا أيضـاً أن نغفل الإشارة إلى مجمـوعة الأعمال الشعـرية العظيمـة التى تناولت التـاريخ الإسلامى والسيرة النبـوية من زوايـا

عديـدة وبصياغـات متنوعة وممتـازة فبالإضـافة إلى العملين الكبيرين الرائعين لأحمد شوقى وأحمد محرم وإلى مُطولات حافظ إبراهيم وعبد الحليم المصرى ومحمـد عبـد المطلب تأتى قصيـدة عـزيز أبـاظـة « من إشراقـات السيرة الزكيـة » ممثلـة لجهده و مكـانتـه فى الشعر العـربى المعاصر.

كذلك فلابـد أن نذكر بالتقدير جهود شـاعرين عمودين عظيمين لم ينلا القدر الكافى من التقدير الواجب فى ظل عصر الشعر الحر الذى كان لابـد (لـلأسف) لأنصـاره من القـائمين على وسـائل الإعـلام من أن يتجاهلوا الشعـر العمودى ، هذان الشاعران هما عـامر بحيرى و كامل أمين ، و من الغـريب أن عـامـر بحيرى صـاحب « أمير الأنبيـاء » كـان مرشحـاً لنوال جائزة الـدولة التقديـرية فى نفس اليوم الـذى نالها اسم المغفور له صلاح عبد الصبور و كان قريباً جداً من الفوز بها ، ومع هذا فإنـه من قليلى الحظ جداً فى إعـلام الثقافـة المعاصرة على الـرغم من أن المغفور له رئيس السادات نفسـه قد أطلق عليه لقب شيخ الشعراء حين لقيه فى جمع مـن الأدباء ذات مرة ، أمـا كامل أمين فـإن عمليه العظيمين «عين جالوت » « والملحمة المحمدية » يقفان بمنتهى القوة و الشموخ بين الأعمال الأدبية التى تناولت التاريخ الإسلامى .

وبالإضـافة إلى هذه الجهـود تأتى مجموعة من أهم الأعمال الشعرية التى تناولت السيرة النبـوية من خـلال معارضة « بـردة البوصيرى » ،

وهى مجموعة من الأعمال العظيمة لاتـزال تفتقر إلى الدراسة و التحليل والمقارنة فضلاً عن إزاحة تراب النسيـان عنها فى ظل انشغالنا فترة بعد فترة بما لا يستحق الانشغـال و لا الاهتمام . فهناك قصيـدة البارودى «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » و هناك قصيدة شوقى « نهج البردة » و قصيدة محمد عبد المطلب « ظل البردة » وهى أعمال سابقة على جهود أدباء التنـوير ، وهناك كـذلك قصيدة الشاعـر العظيم على أحمد باكثير «كشف ما جـرى فى مدح سيد الورى » وقصيـدة محمد خليل الخطيب «بشرى العاشقين ببلوغ سيد المرسلين » وقصيدة هاشم الرفاعى « نهج البردة » و أخيراً قصيدة الـدكتور حسن على إبـراهيم « محمـد رسول الله»

على أن الشعـراء فيما بعد الـرواد الكبـار شوقى و حـافظ و محرم أخذوا يتنـاولون بنفس الـروح التى تناول بها الأدبـاء التالـون لأدباء التنـوير كثيراً من القضـايا الفـرعيـة فى التاريخ الإسـلامى بشىء من الدراسة والتمحيص ، و ليس هذا مجال الحديث بإفاضة عما أنجزوه فى هذه النـاحية ، و لكنى أكتفى بنموذج واحـد هو قصيدة الشـاعر أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبوللو فى ديوانه الشفق الباكى (١٩٢٦) فى قصيدة « النبى محمد و روح الله » حين يقول :

هدمت أوهام القديم محرراً أيقال دينك ملؤه الأوهام

وشرعت للعقل الحكيم سياسة ضمنت بقاء جلالها الأيام

بُنيت على النفع الأتم وكل ما للعلم فالعلم الصحيح قوام

عقل كعقلك لن يبيح يبيح جهالة أبداً ، فكم سطعت له أحكام

وفى خطوة أكثر تقدمية وعصرية كان جهد الدكتور عبده بدوى فى انشاء قصيد سمفونى بعنوان «محمد» نشره فى ليبيا عام ١٩٦٩ .

(٥) الدراسات التاريخية بعد جهد أدباء التنوير : من دون أن نبخس أقدار علمائنا أو جهودهم فى مجالات الفكر المتصلة بالتأريخ للحضارة الإسلامية والدول الإسلامية يمكن لنا أن نلخص المسار الذى سارت فيه الأمور فى هذه المجالات فى الحقب الزمنية التى ترادفت بعد جهود أدباء التنوير :

(أ) لم يؤلف الجيل الأول من تلامذة طه حسين وأحمد أمين وهم من يفترض أنه كانت لهم فرص أوسع من فرص طه حسين وأحمد أمين شيئا ذا بال فى هذا المجال . فالدكتور عبد الرحمن بدوى مثلاً و هو من أنبغ هؤلاء التلاميذ وهو أستاذ قسم الفلسفة لم يضع لنا مرجعا قويا فى موضوع الشيعة أوالخوارج أو الفرق السياسية الدينية فى صدر الإسلام بالرغم من رسائله العديدة فى موضوعات عديدة !!

(ب) وهذا هو الجيل الثانى من أساتذة قسم التاريخ نفسه – نجد الأستاذين حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف يضعان (مثلا) كتاب العالم الإسلامى فى العصر العباسى .. يختص أولهما (هكذا) بكتابة تاريخ العصر العباسى الأول ويكتفى الثانى بكتابة العصر الثانى ، ويقصران هذا الكتاب على الحياة السياسية ، ويعدان فى المقدمة أن يصدرا بعد ذلك جزءا يختص بالناحية الحضارية !!

(جـ) أما الدكتور شوقى ضيف فقد كان صاحب فضل أوفى إذ أخذ خيط أستاذه طه حسين و بدأ يضع الكتب المطولة التى تتناول تاريخ الأدب العربى فى العصور المختلفة .. ويشاركه فى هذا المجال نخبة من أساتذة الأدب العربى يضعون تاريخ عصور معينة كالمغفور له الدكتور أحمد الحوفى ، و الدكتور أحمد هيكل ، والدكتور الطاهر مكى ، والدكتور بدوى طبانة والدكتور يوسف خليف .

(د) مهد أحمد أمين إلى دراسات مقارنة الأديان بكتابته الرائدة فى هذا المجال على مدار الصفحات الطوال من كتبه حتى وإن لم يختصها بفصول منفصلة ، وأحمد أمين هو بلا شك أول من كتب فى علم الأديان المقارن وصلته بالتاريخ ، وقد أثمر هذا الاتجاه فيما بعد كتابات الدكتور أحمد شلبى الأستاذ فى دار العلوم الذى أرخ هو الآخر للحضارة الإسلامية والأديان .

(هـ) وضـــع أحمد أمـين الأساس القـوى للدراسـات التى تتناول الصلة بين الحضـارات الشرقية بعضها وبعض وقـد كان من المفـروض (بحكم الانتماء الجغـرافى والسيـاسى والظـروف التنموية المشابهة) أن تنمو فى جامعـاتنا مثل هذه الدراسات، ولكن يبدو أن شيئا ما قد شـاب التقدم العلمى فى هذا المجال ، فقد أُلغى معهد الدراسات الشرقية الذى كان قد أسس فى آداب القاهرة وتولى رياسته الدكتور عبد الوهاب عزام .. بيد أننا مع هذا نجد المغفور له الدكتور يحى الخشاب فى نهاية الستينيات يضع كتابه عن التقـاء الحضـارتين الفارسية والعـربية ، وهو مجموعة من المحـاضرات ألقاها فى معهد الـدراسات والبحوث العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(و) لا ينبغى للمـرء أن يغبـط حق المغفـور لـه الأسـتـاذ محمـد الخضرى فى كتابيه الممتازين « تاريخ التشريع الإسلامى » و« نـور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » . ولا يـزعم الباحث أنـه يستطيع أن يوفى هذا الرجل حقـه . ولكنه الذى لا شك فيه أن كتابته كانت على أقل تقدير بمثـابة مصباح جانبى ممتاز أفاد منه أحمد أمين وطه حسين ، حتى وإن ظن البعض أو اعتقدوا أنها تلخيصات ممتازة لكتب قديمة .

الفصل الخامس

ببليوجرافيا

تهدف هذه الببليوجرافيا إلى تسهيل البحث فى المصادر التى أشار إليها الكتاب (بصفة خاصة أو بصفة عامة) ولا تتضمن بالطبع المراجع غير المباشرة التى استند إليها المؤلف فى كثير من فقراته التى كتبها فى هذا البحث ولكنها تُعنى فى الأساس بأن تتيح للقارىء توصيفا ببليوجرافيا موجزا لبعض المصادر التى لا بد له من أن يستعيد الإطلاع عليها فيما يثيره فى هذا البحث من أفكار ، وبخاصة الأفكار التى تنتقد بعض ما فى البحث نفسه ، وقد آثرنا ترتيبها أبجديا دون التفريق بين العرب والأجانب وباعتماد اسم المؤلف الأول لا اسم العائلة ، وأشرنا إلى الطبعات التى نقلنا عنها لا لسبب إلا أنها كانت هى المتاحة أمام المؤلف قبل غيرها .

١ـ د. أحمد إبراهيم الشريف :

الدولة الإسلامية الكبرى ، دار القلم ، ١٩٦٥

(٢-٦) ـ أحمد أمين :

فجر الإسلام (١ج) ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعات متعددة

ضحى الإسلام (٣ج) ، مكتبة النهضة المصرية

ظهر الإسلام (٤ج)، مكتبة النهضة المصرية

يوم الإسلام (١ح) ، مكتبة النهضة المصرية

حياتى ، مكتبة النهضة المصرية

٧ ـ د. أحمد شلبى :

التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ط ٢ دار النهضة المصرية

٨ ـ د. أحمد فؤاد الأهوانى :

مقدمة لكتاب ظهر الإسلام ، الجزء الثانى ، تاليف أحمد أمين ، دار النهضة المصرية .

٩ ـ بارتولد :

تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر

١٠ـ جرجى زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامى ، ط ٣ ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٢.

١١ـ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف :

العالم الإسلامى فى العصر العباسى ٠ دار الفكر العربى،١٩٦٦

١٢ـ خودا بختش :

الحضارة الإسلامية ، ترجمة على حسن الخربوطلى ، دار القلم

(١٣- ١٧) ـ طه حسين :

مرآة الإسلام

على هامش السيرة (٣ أجزاء)

الوعد الحق

الفتنة الكبرى – عثمان

على وبنوه

مجموعة إسلاميات طه حسين ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٧

(١٨– ٢٠) ـ عبد الحميد العبادى :

– الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها (بالاشتراك) ١٩٥٤

– صورة من التاريخ الإسلامى (جزءان) ١٩٤٧ ، ١٩٥٣

– المجمل فى تاريخ الأندلس (١٩٥٨)

(٢١– ٢٢) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى :

– أيام العرب فى الإسلام

– أيام العرب فى الجاهلية دار الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، ط٢ (١٩٦١).

٢٣– محمد عزة دروزه :

« العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجرى » دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، سورية ، ١٩٥٩

٢٤– د. محمد محمد الجوادى

مجلة الثقافة تعريف وفهرسة وتوثيق ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣

٢٥ـ محمد مهدى علام :

المجمعيون، مجمع اللغة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨٦

٢٦ ـ د. يحيى الخشاب :

التقاء الحضارتين العربية والفارسية ١٩٦٩ ، معهد البحوث والدراسات العربية

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

١ ـ الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً واديباً ،
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغـة العربية الأولى فى الأدب العربى عام ١٩٧٨) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٢ ـ مشرّفة بين الذرة والذروة،
[نال عنه المؤلف جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم عام ١٩٨٢] .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠

٣ ـ كلمات القرآن التى لا نستعملها (دراسة تطبيقية لنظريـة العينات اللفظية) ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤

٤ ـ يرحمهم الله (كلمات فى تأبين بعض الشخصيات)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤

٥ ـ من بين سطور حياتنا الأدبية (دراسات أدبية)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٦ ـ الدكتور احمد زكى ، حياته ، وفكره ، وادبه
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٧ ـ مايسترو العبور المشير أحمد اسماعيل،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٨ ـ سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٨٤ .

٩ ـ الدكتور على باشا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٥ .

١٠ ـ الحلول الجزئية هى الأجدى أحيانا .. مستقبلنا فى مصر ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١١ ـ التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة،
الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة، ١٩٨٦ .

١٢ ـ الدكتور سليمان عزمى ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٣- **الدكتور نجيب محفوظ** ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٤- **دليل الخبرات الطبية القومية** مع مقدمة وافية عن تاريخ وحاضر مؤسسات التعليم الطبى المصرية ،
مركز الإعلام والنشر الطبى ، الجمعية المصرية للأطباء الشبان ، ١٩٨٧

١٥ - **الصحة والطب والعلاج فى مصر** ،
جامعة الزقازيق ، ١٩٨٧

١٦- **توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية** ، المكتبة الثقافية ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨

١٧ - **رحلات شاب مسلم** ،
دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩

١٨- **الببليوجرافيا القومية للطب المصرى** ، الجزء الأول والثانى ١٩٨٩ ،
الجزء الثالث والرابع ١٩٩٠ ، الأجزاء من الخامس وحتى الثامن ١٩٩١
الأكاديمية الطبية العسكرية ، وزارة الدفاع ، القاهرة

١٩- **منهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية** ،
رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠ .
الطبعة الثانية . **أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى** ، دار الشروق ، ١٩٩٤

٢٠ - **مجلة الثقافة [١٩٣٩ - ١٩٥٢] . تعريف وفهرسة وتوثيق** ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

٢١ - **شمس الأصيل فى أمريكا** (من أدب الرحلات) ،
دار الشروق ، ١٩٩٤ .

٢٢ - **أوراق القلب** (رسائل وجدانية) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤

٢٣ - **مذكرات وزراء الثورة [دراسة تشريحية تاريخية نقدية لعشر مذكرات سياسية]**
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤

٢٤ - **المحافظون** (قوائم كاملة ، وفهارس تفصيلية وأبجدية ، ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء الإدارة المحلية فى ١٩٦٠ وحتى الآن) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤

المحتويات

رقم الإيداع ١١٣٥٠ / ٩٤

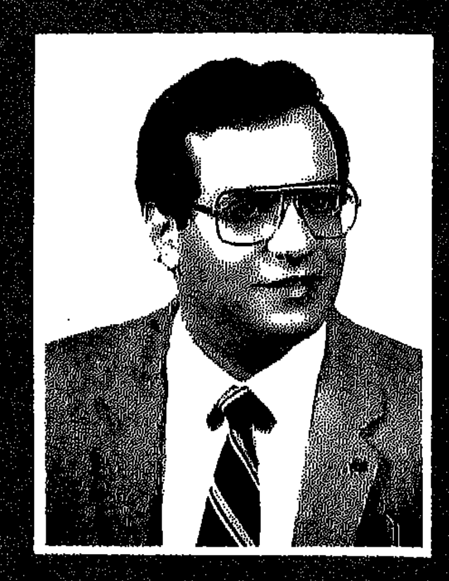
I.S.B.N 977 - 09 - 0257- 8

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤

بيروت ، ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣





د . محمد محمد الجوادى

إذا جاز أن يكون هناك أكثر من مستوى لكتابة تاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسلامية) فلابد أن تتميز كتابة بالقدرة على أن تكون مقروءة على أوسع نطاق ، وأن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك الكتابات التى تتناولها هذه الدراسة هذا البحث.

ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أبديت بأقلام أصحابها حين أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه فى تاريخ الأمة الإسلامية.. ولا أن تعلى من قدر كتابة تاريخية على ماسواها من كتابات، ولا أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية و إن كانت بالضرورة سوف تلقي ببعض الضوء على بعض معالم فى الطريق الكفيل بالوصول إلى بعض ما نبتغيه لتاريخ أمتنا حين يكتب .

تحاول هذه الدراسة أن تتأمل الجهد الذى شهده الربع الثانى من القرن العشرين فى مصر حين تصدت مجموعة من ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية ،وتستعرض الدراسة هذه التجربة الرائدة التى أثمرت جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ وتاريخ الأدب العربى، و كثير من الدراسات الإنسانية فى الحضارة العربية ، وهو بعد ذلك ، و قبله المرجع العلمى الممتع ... و العمل الأدبى الممتاز .

محمد الجوادى